«تعريف بكتاب»

طـريـق الحــجّ الأحــسائـى(٣)

إدارة التحرير

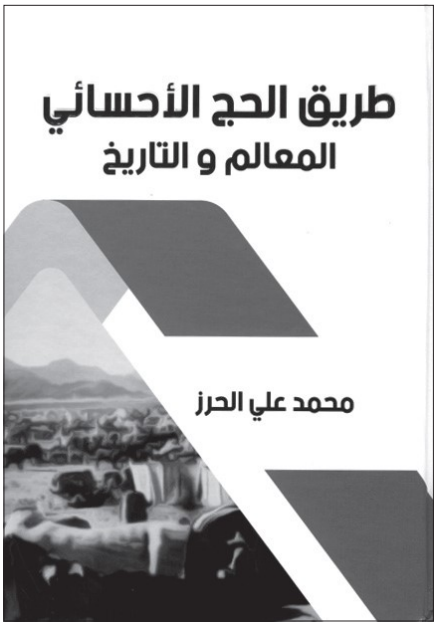

نظـراً لمنهـج مجلـة «ميقـات الحـجّ»، وعنايتهـا بالشـؤون الثقافيـة والتاريخيـة والسياسـية والاجتماعيـة للحجّ ودائرتـه المباركـة...، فتحت بابها لا فقط لاسـتقبال مـا يتفضـل بـه الكتّـاب، ويبـادر بـه العلـماء والمحققـون من بحـوث ومقـالات من

أفكار وآراء حول عنايتها المذكورة، وإن لم تكتفِ بانتظار ما تجود به معرفتهم وأناملهم، بل راحت إدارتها تسمع وتقرأ وتلاحق ما يكتب هنا وينشر أو يُلقى هناك؛ ما دام يصبُّ في دائرتها المعرفية؛ لإعطائه مساحة مناسبة في المجلة، حرصاً منها في إغناء مكتبتها الخاصة وتراثها المعرفي، ومشاركةً منها في نشر ما تصبو إليه من أهداف كبيرة؛ تتمدّد على مساحة واسعة من الحرمين المباركين مكة المكرمة والمسجد النبوي وما حولهما من طرق وأماكن ومواقع.

إنّ هذا الكتاب «طريق الحج الأحسائي» لمؤلفه سماحة الشيخ محمدعلي الحرز، كتاب جيد لما تتوفّر فيه من أهمية تاريخيّة وفوائد ميدانيّة ومعرفة لحدود هذا الطريق ومعالمه، و قديماً كان هذا طريقاً للحجاج الإيرانيين .

فطوبى لمؤلفه الشريف، الذي تحمّل كثيراً من المعاناة؛ لإيجاد هذا السفر القيّم، نسأله تعالى أن يؤجره أجراً كبيراً، ويؤجر سماحة الشيح حسين الواثقي، الذي اقترح أن يحتلّ هذا الكتاب مكانته في هذه المجلة.

***

جاء في مقدمة البحث:

«طالما راودتني فكرة التطرّق لموضوع الحج الأحسائي من الناحية التاريخية؛ والتعريف بالعلاقة الكبيرة بين الأحساء وبلاد الحجاز، وأهم الطرق التي يسلكونها في المسير لأداء فريضة الحج، والعقبات التي تواجه الحاج الأحسائي تحديداً من صعوبات ومعوِّقات، حاله حال الكثير من الحجاج في مختلف المنافذ المتجهة إلى مكة المكرمة، نظراً للتغافل الكبير من المهتمين بتاريخ الحج وطرق الحاج، وذلك لصعوبة البحث وندرة المصادر التي تناولت معالم هذه الطرق.

لذا اكتفى معظم الباحثين بتناول الطرق المشهورة والمعروفة؛ مثل الشامي والعراقي

والمصري واليمني والعماني وغيرهم، دون تجاوز هذه العتبة خشيةً من وعورة الطريق والبحث في هذه النقطة المعتمة...».

الكلمات المفتاحية:

المصاعب والعناية بطريق الحجّ الأحسائي، الجهود المبذولة في تأمين الحجّ، معالم طريق الحجّ الأحسائي، بيان بعض المصطلحات القديمة، العوامل المؤثرة في تحديد طريق الحجّ، الطرق المباشرة إلى مكة المكرمة، طرق ومنازل الحاجّ من الأحساء إلى مكة المكرمة . . .

***

... الفصل الثاني: المصاعب والعناية بطريق الحج الأحسائي

مصاعب و مخاطر طريق الحج:

يصادف الحاج في رحلته العبادية لأداء فريضة الحج مجموعة من العقبات والتحديات، تبدأ من أول مرحلة من مراحل الحج وهي الاستعداد، ولا تنتهي إلّا بعودته عند باب داره في أرض الوطن.

هذا الأمر هو ما يجعله في حالة توتّر شديد وقلق كبير لايفارقته، وهنا نورد عدد من هذه الصعوبات والتحديات التي يشهدها طريق الحج نذكرها بإيجاز، لنستشعر طبيعة الرحلة الإلهية وما يكتنفها والحالة النفسية التي يعيشها الحاج في حالة تجمع بين الفرح والسعادة التي لا توصف وهو يستشعر أنه في طريقه لأداء شعيرة إلهية عظيمة قد وفقه الله لأدائها، وبين الشعور بالخوف والقلق أنه لا يسلم على حياته فضلاً عن سرقته من قبل قطّاع الطرق، وبالتالي قد لا يرجع لأهله ووطنه سالماً.

وهذه المصاعب المؤرّقة يمكن تلخيصها في التالي:

١ـ الانفلات الأمني:

الهاجس الأمني والخوف على الأرواح من أكثر الأمور التي عانى منها الحاج من مختلف المناطق وطرق الحج المتعددة، بلغ درجة أن تتخلف بعض المناطق عن الحج لسنوات إذا علمت بفقد الأمن و وجود قُطّاع الطرق في الطريق، حتى لقد بلغ إيذاء الحاج في بعض السنوات منتهاه، حتى أنه ينقل عن العلامة الشيخ محمد الرملي الشافعي (القرن العاشر).[١]

ـ بسبب ما لاقاه من شدة وأذى والمشقة أفتى بعدم وجوب الحج في هذه الأزمنة.[٢]

ـ طالما فيه خطر على النفس البشرية. ففي سنة ١١٤٢ هـ، هجم بعض قُطّاع الطرق من قبيلة مطير على الحاج الأحسائي في منطقة الحنو.[٣]

ـ وقتلوا منهم وسلبوهم بعدما أخذوهم للحسوة.[٤] ـ وهي منطقة تقع في جنوب شرق المدينة المنورة، وتبعد عن مدينة ينبع البحر حوالي ٣٥٠ كيلومتر كما تعتبر داخل حدود منطقة المدينة المنورة، وسكانها غالبهم من قبيلة مطير، وشيوخها منهم.

مجزرة ابن حثلين لحاجّ الأحساء:

من الشواهد التاريخية التي تبيّن حجم المأساة التي يعاني منها الحاج ومستوى القسوة التي مارسها لصوص الحاجّ وامتلاكهم قلوب هي إلى الحجارة أقرب، بلا رحمة ولا شفقة.

---

١. هو الشيخ شمس الدين بن شهاب الدين الرملي المنوفى المصري الأنصاري المشهور بالشافعي الصغير من علماء القرن العاشر الهجري، ولقّبه البعض بمجدد القرن العاشر.

٢. أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ١: ٧٢٦.

٣. تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ١٢٧.

٤. تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ١٥٤.

ففي حوادث سنة ١٢٦١هـ، وهي الحقبة التي كانت الأحساء خاضعة للدولة السعودية الثانية، أقبل حاجٌ كثيرٌ من الأحساء والبحرين والقطيف، ومن أهل سيف البحر، ومعهم عجم كثير، فرصد لهم في الطريق فلاح بن حثلين رئيس العجمان، ومعهم أناس من عربان سبيع، وكان حزام بن حثلين مع الحاج، فشنوا عليهم غارة، شردوا من الحاج نحواً من نصفه، وذلك من سرِّ قدرة الله وتدبيره، وقد مات فيها خلق كثير، بينما أُسر البعض الآخر.

فاستنفر الإمام فيصل بن تركي جيشه فركب من الرياض آخر ذي القعدة،[1] وقد استنفر معه القبائل المختلفة وأصبح يطارده فلمّا سمع ابن حثلين بذلك لجأ إلى بني خالد عدوان الإمام فيصل، ولكن لما وجدوا عظم الأمر ذهب أعيانهم وشيوخهم ألّا يأخذ البريء بالمسيء، وتمّ طرد ابن حثلين وبقي مشرّداً يبحث عن ملجإ، حتى تمّ القبض عليه سنة ١٢٦٢هـ، واعتقاله وأخذه إلى قصر الكوت عند أحمد السديري الذي قام بإعدامه بقطع رأسه.[2]

وهذه الحادثة تؤكّد - رغم الصعوبات التي تكتنف طريق الحج - بأنّ الوفود السائرة للحج من خلال عبوره تعدّ كبيرة نسبياً، لأنها تجمع الحاج من الأحساء والقطيف والبحرين ومناطق الساحل سواء من قطر أو عُمان، ويتبعهم القادمون عبر البحر من أهل الفرس والهند، وهي تحمل معه الغنائم والأموال التي أرادوا بها الكفاية لأداء فريضة الحج والعودة إلى أوطانهم، خاصة وأنّ الرحلة قد تستغرق عند البعض من المناطق البعيدة قرابة النصف سنة بعيداً عن أهله ووطنه.

وفي سنة ١٣١٠هـ، نشطت بعض القبائل من أهل البادية لسرقة الحاج وسلبهم. وتجمع منهم أكثر من ٣٠٠ رجل، بتمرّد خطير فهاجموا قافلة مسافرة من الهفوف إلى

١. عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ٢: ٢٣٣.

٢. م. ن، ٢: ٢٣٧.

العقير في حراسة فرقة تركية من ٢٥ جندي فقتلوا ١٥ منهم وجرحوا ١٠، وحملوا معهم ٥٠ ألف روبية نقداً وما قيمته ٢٠ ألف من البضائع، كما نهبوا أيضاً ٤٠ حاجّاً كانوا مسافرين بصحبه القافلة وبدأت حوادث سرقات عديدة،[1] وهي بلا شك تشمل وفود الحجاج القادمين عبر الميناء وكذلك القوافل التجارية.

٢ـ قلة الماء والآبار:

من العوامل المؤثر في اختيار الطريق من عدمه، أو كثرة العبور من خلاله أو تركة، وفرة الماء ووجود الآبار في الطريق، وهنا يأتي دور الأمير وقائد الرحلة في معرفة الطرق وتمتعها بهذه الخاصية أو لا، لذا يستعان في مثل هذه الرحلات بالدليل الخبير بالصحراء من رجال البادية، حيث يتولى قيادة الرحلة وانتقاء الطرق المناسبة.

فالحاج في رحلته الشاقة والطويلة والتي تستغرق في الغالب حدود ٢٥ يوماً؛ ستة من الأحساء إلى الرياض، و ١٨ يوماً من الرياض إلى مكة المكرمة، والتي قد تصل إلى شهر بعض الأحيان، يكون في أمس الحاجة إلى التزوّد بالماء خلال الطريق، خاصة عندما يكون الموسم في فصل الصيف الذي يشتد فيه العطش، وتظمأ الدواب، بل وينفق بعضها بسبب العطش والتعب، وفي هذا الحالة نجد الدليل ينتقي الطرق والمنازل التي تتوفر فيها الآبار والكلأ وإن أدى ذلك إلى طول الطريق وبُعد المسافة.

ففي سنة ٨٣٣هـ، أصاب الحاجّ المصري بين (الإزلم) و(ينبع)، شدة عظيمه من الحرّ والعطش، مات فيها ثلاثة آلاف نفس، ويقال خمسة آلاف.[2]

---

١. الشبانات، سعد بن عبد العزيز، الصّمّان بحوث وتحقيقات ميدانية وتأريخية لمنطقة الصُلب والصّمّان، تقديم حمد الجاسر، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م ١: ١٤٣.

٢. إتحاف الورى بأخبار أم القرى، مصدر سابق ٤: ٥٠.

وفي السنة التالية عام ٨٣٤هـ، توفي العديد من الرجال والنساء ممن هلك بالعطش من الحاج فدفن منهم بالآلاف.[١]

ومن هنا تأتي أهمية معرفة الدليل وخبرته بمخارج الطريق وأماكن الآبار والمسافات طولاً وقصراً، فالأرواح تكون معلّقة بين يديه، والخطأ هنا يعني موت الحاج والدخول في متاهات قد لا يؤمن عواقبها.

وقد نقل في التاريخ الأحسائي الشفهي، موت بعض الحاج بسبب الضياع، وقلة الماء، إما لعدم وجود آبار أو لجفاف المياه منها، وهذا يشكل تحدي كبير لقافلة الحاج ومصدر قلق لا يمكن التهاون فيه.

٣ـ طول الطريق:

خمسة وعشرون يوماً من السير على ظهر الإبل، أو سيراً على الأقدام، في رحلة مليئة بالتعب ومحفوفة بالعناء وقسوة الحياة، ومصحوبة بالكثير من المخاطر، من وحوش الصحراء كالذئاب والعقارب والثعابين تارة وقُطّاع الطرق أصحاب القلوب البشعة والقاسية تارة أخرى.

فإذا أخذنا في الاعتبار وجود عدد غير قليل من كبار السنّ والنساء ضمن ركب الحاج، ندرك مدى المشقة والصعوبة في هذه الرحلة، وأنها تستغرق وقتاً طويلاً بسبب المراعاة لأضعف الحاج، كما قد يختار أمير الحاج طريقاً أبعد، عندما يجد أنّ الطريق القريب يتخلّله بعض المخاطر كوجود قُطّاع طرق تتربص بالمارين فيه، أو تفشي المرض بين عموم الحجاج، أو خلّوه من الآبار والمياه، في وقت تكون القافلة في أمسّ الحاجة لها، لذا قد تطول الرحلة إلى ٤٠ يوماً لمثل هذه العوامل وغيرها.

فإذا أضفنا عملية الحج وطقوسه وما يتخلّلها من مشقة عطفاً على قوله تعالى:

---

١. م. ن، ٤: ٥٦.

﴿وَلِلّهِ على النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾،[1] وبما فيها من طواف وسعي ورمي جمرات ووقوفيْن بعرفات والمشعر الحرام، ندرك جيّداً حجم المشقة التي يعيشها الحاج والوقت الذي يستغرقه عمل المناسك، ثم تبدأ الرحلة إلى المدينة المنورة، وأخيراً خط العودة والذي لا يقل خطورة وصعوبة عن رحلة الذهاب، مما يجعل الرحلة في مجموعها قد تستغرق بين ثلاثة إلى أربعة أشهر.

من خلال كلّ هذا ندرك خطورة الأمر ومدى كلفته على العجزة من النساء وكبار السنّ في رحلة طويلة يكتنفها المشقة والتعب في جميع مراحلها.

٤ـ ضعف الدراية بطرق الحجّ المناسبة:

واحدة من أهمّ صفات أمير الحاجّ وقائد الرحلة، هو درايته بالطرق المختلفة المؤدِّية إلى الديار المقدسة، وهذه تتكوّن نتيجة خبرة طويلة وسفرات متعدد (متعددة) إلى الحجاز يتعرَّف فيها على معالم الطريق وصعوباته ومميزات كلِّ طريق منها، أو لا أقلًّا يوجد حوله من يمتلك هذه الدراية.

لذا يتجنب عن قيادة الحاجّ من ليس له خبرة بالطرق أو من يتصف بالعناد والاستبداد بالرأي، وقد وقعت حادثة لحاجّ الأحساء نتيجة عدم امتلاك أمير الحاجّ لمثل هذه الخبرة والحنكة.

فقد تمَّ تنصيب الأمير محمد المحاري (المحاوي) أميراً على الحاجّ الأحسائي من قبل أمير الأحساء الشيخ سليمان بن محمد بن عريعر الخالدي سنة ١١٤٢هـ، ولم يكن بذي خبرة في إدارة الأمور مما جعله لقمة سائغة لقُطَّاع الطرق من قبيلة مطير، وتسبَّب في إحداث مجزرة في الحاجّ قرب منطقة الحنو،[2] وقد سبق الإشارة لهذه الحادثة في الصفحات السابقة.

---

١. سورة آل عمران: ٩٧ .

٢. عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ٢: ٣٧٢ .

٥ـ تفشّي الأمراض والأوبئة الفتّاكة:

نتيجةً لضعف الرعاية الصحّية لدى الحجّاج القادمين من مختلف الأقطار الإسلامية بسبب الفقر وقلّة الأطباء، فكثير ما يأتي بعض الحجّاج وهم محمّلين بالأمراض والأوبئة، ناهيك عن الحالة العامّة نتيجة للازدحام وقلّة النظافة في الوضع العام سبباً في تفشّي الأمراض في صفوف الحجّاج.

وقد ذكر التاريخ العديد من الأمراض التي انتشرت بين الحجيج؛ ففي سنة ٨٣٧هـ، انتشر وباء في اليمن ووصل إلى مكة المكرمة في شهر شعبان، فكان يموت في كلِّ يومٍ خمسين.[١]

وفي رحلة داود السعدي إلى الحجِّ مع حاجِّ الأحساء سنة ١٣٨٨هـ، أرخَّ تفشّي مرض «الكوليرا» بين الحاجِّ فقال:

«يوم الأربعاء ومنها إلى قرب (رابغ)،[٢] رعياً فقط، واعترى الحاج علة القوليرا (الهيضة)،[٣] ومات سبعة أشخاص، وذكر عند وصولهم (رابغ) وهي بلدة معمورة، وفيها مات عشرة نفر، وعبد حبشي للسعدي».

---

١. إتحاف الورى بأخبار أمِّ القرى، مصدر سابق ٤: ٧٠.

٢. رابغ: هي إحدى محافظات منطقة مكة المكرمة وهي مدينة قديمة تقع على ساحل البحر الأحمر في إقليم تهامة، تبعد عن جدة حوالي ١٤٠ كيلومتر في اتجاه الشمال، يحدها من الشمال منطقة المدينة المنورة، ومن الجنوب محافظة جدّة، ومن الشرق منطقة المدينة المنورة ومحافظة خليص، يقطعها طريق دولي إلى جزئين شمالي و جنوبي، وكانت قديماً من ديار بني ضمرة من قبيلة كنانة، بها ميقات (الجحفة) وهو ميقات لأهل مصر والشام. البلادي، د. عاتق بن غيث، معجم معالم الحج، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م: ٦٥٤.

٣. يعني الكوليرا (الهيضة): والكوليرا، والتي تعرف أحيانا باسم الكوليرا الآسيوية أو الكوليرا الوبائية، هي من الأمراض المعوية المُعدية التي تُسببها سلالات جرثوم ضمة الكوليرا المنتجة للذيفان المعوي. وتنتقل الجرثومة إلى البشر عن طريق تناول طعام أو شرب مياه ملوثة ببكتيريا ضمة الكوليرا من مرضي كوليرا آخرين.

وتعدّ هذه الحالة من عشرات الحالات التي تحدث موسميًّا في الحج حيث انتشار الأمراض والأوبئة المعدية التي تفتك بحياة مئات الحجاج في ظلِّ قلَّة المعالجات وهشاشة الوضع الطبي وضعف الثقافة الصحية لدى غالبيّة الحجّاج.

٦ـ ارتفاع الأسعار والمعيشة في الديار المقدسة:

تضطرب الأسعار في موسم الحج فلا تكون الأسعار في مكة مستقرة أو على حالٍ واحد، ففي بعض السنوات كان الغلاء في الحجاز قد أخذ منتهاه، مع وجود قلَّة ذات اليد والحاجة في صفوف الحجّاج، نتيجة لكلفة السفر ومؤنته، مما يجعلهم في أضعف أحوالهم عند وصو م لمكة المكرمة.

وقد ذكرت المصادر التاريخية العديد من هذه الحالات، ففي أحداث سنة ٨٣١هـ، يذكر بن فهد المكي عن أحداثها قائلاً: «وفيها اشتد الغلاء بمكة المشرفة لعدم المطر فيها»،[1] وهذا نموذج وشكل من أشكال الغلاء، وإلّا دواعي الغلاء كثيرة ومتعدّدة الأسباب، من بينها قلة البضائع التي عادة ما يجلبها بعض الحجّاج معهم من بلدانهم، أو انخفاض العطايا التي يقدّمها أمراء الحاجِّ لفقراء البيت الحرام.

وقد يطال الغلاء الماء لشحته وقلَّة الأمطار ففي سنة ٨٣٤هـ، قلَّ الماء بمكّة في موسم الحجِّ حتى بيعت الراوية بمكة أيام الصعود إلى عرفة بأغلى الأثمان.[2]

٧ـ الصراعات السياسية في المنطقة:

الصراع السياسي في المنطقة له تأثير مباشر على الحاجِّ و سلامتهم سواء في بلاد الحجاز مكة والمدينة أو في مراحل الطريق المختلفة، وفي الغالب عند نشوب أي صراع

١. إتحاف الورى بأخبار أم القرى، مصدر سابق ٤: ٢٧.

٢. م. ن، ٤: ٦٠.

بين أطراف سياسية تنعكس سلباً على الحاجّ، لما يترتب عليه من الفوضى، وانحلال عقد الأمن والسلام، فكان اللصوص والاستقلاليون يستفيدون من مثل هذه الحقب الزمنية لصالحهم والنيل من الحجّاج وسلب ممتلكاتهم أو فرض الضرائب عليهم.

كما أنّ مكة المكرمة نفسها كثيراً ما تحدث فيها صراعات بين أقطاب الحكم من الأشراف، أو مواكب الحجّ الكبيرة القادمة كموكب الحجّ المصري والشامي والعراقي و غيرها.

وقد رصد التاريخ العديد من الصراعات التي كانت تنشب بين مواكب الحج المختلفة بسبب خلاف بين الحاجّ، أو نزاع نتيجة الرغبة في محلِّ نزول الركب وقافلة الحجّ، وقد تكبر المشكلة إذا كانت بين طرفين من كبار موكب الحج كالشامي والعراقي والمصري، والتي تكون بأعداد كبيرة.

هذه الأمور تنعكس على الحجّاج وقد يتسبب في فوضى عارمة تنال أطرافاً كثيرةً من الحجّاج ممن لم يكن طرفاً في المشكلة ولكن أصابه شررها.

٨ ـ الضرائب التي تفرضها القبائل على الحاج:

في المراحل المتعددة التي يسير فيها الحاج من الأحساء مكة المكرمة، يدخل خلال الرحلة في أراضي عدد من القبائل العربية المختلفة، منهم من ينظر إلى الحاجّ على أنهم وفد الله وضيوفه، وفي خدمتهم مكرمة عظيمة وأجر كبير فيتسابقون على ضيافتهم وتسهيل رحلتهم عبر أراضيهم بل توفير الحماية لهم وتزويدهم بالمؤن والمساعدات المختلفة، كما أنهم يتبادلون السلع والمنتجات والمحاصيل تجاريًّا معهم مما يشعر الحاج بالراحة والارتياح.

في المقابل هناك عدد من القبائل تنظر إلى الحاج أنه وسيلة من وسائل الغنى وجمع المال عبر سنّ وفرض الضرائب الثقيلة على الحجّاج، والتي تكون مجحفةً في حقهم،

مقابـل سـلامتهم وأمنهم عنـد عبورهم من أراضيهـم، وهي في العادة تكـون مبالغ باهظة وفـوق طاقـة الحاج، وتتكـرر في عدة أراضي مما يجعـل الحاج يفقد كلّ ممتلكاتـه و مدخراته في رحلـة الحج قبـل وصوله إلى الديار المقدسـة.

وقـد عانـى الحجّـاج الأحسـائيون مـن القبائـل العربيـة التـي كانـت تشـكل رعبـاً وهاجسـاً مخيفـاً نتيجـة التجارب المختلفـة التي مرّوا بها خلال سـنينه من هـذه القبائل من القتل والسـلب الـذي زُهقت فيه الأرواح في عمليات بشـعة في حـوادث بقيت محفورة في الذهنيـة الأحسـائية لفترات زمنيـة طويلة.

وفي الختـام علينـا أن نـدرك إن الحـجَّ رحلـة بقدر مـا فيها من فرحـة عظيمة عنـد الحاجِّ وفـوز كبـير لا يوصـف، فإنهـا مقترنة بأشـكال متنوعة مـن الصعوبـات والمخاطر اسـتطاع الحـاج الأحسـائي أن يتخطاهـا ويؤدي فرضـه امتثالاً لأمـر الله تعالى. حيث يقـول جلّ من قائـل: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّـاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجـالاً وَعَلَى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِـنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.[1]

الجهود المبذولة في تأمين طريق الحج:

إنَّ المتتبّـع لحركـة الحـاج الدؤوبة أثنـاء مـروره على كثـير من المنـازل والهجـر والقرى المتآخمـة لطريـق سـيره نحـو مكة المكرمـة يلحظ مـدى الجهـود التي بذلـت تباعـاً لتأمين الطـرق والمسـالك، وهـذه الجهـود يمكـن لنا استشـفافها من خـلال رصدنا لطـرق الحج المختلفـة، وهـي على النحـو التالي:

١ـ الحراسة المشدّدة:

اسـتمر الاهتمام البالـغ والعناية الفائقـة بطريق الحاج حتى أصبح مـن ضمن أولويات الـدول المتعاقبة على حكم الأحسـاء، ومحل عنايتهـا وأهم أهدافها.

---

١. سو الحج: ٢٧.

وقد استمرت هذه الحملات الأمنيّة من قبل دولة الجبريين بين عامي ٨٥١ـ٩٢٩هـ باتجاه قبائل الدواسر المشاغبة والفضول، بسبب تعدّيهم المتكرر على القوافل التجارية التي تسلك طريق الأحساء والقطيف وطريق الـ ـارة الواقع على إقليم نجد خاصة الواصل إلى بلاد الحجاز «طريق الحجيج»، نظراً لأهميته لقوافل الحجيج، وذلك لأنّ الجبور كانوا يعتمدون اعتماداً رئيسيّاً في اقتصاد دولتهم على التجارة وتأمين طريقها مثلهم في ذلك مثل الدولة العصفورية.[1]

ومظهر آخر للدلالة على ما أعطته الدولة الجبرية من أهمية قصوى لطريق الحاج الأحسائي والاهتمام بأمنه وأمانه وقطع دابر قُطّاع الطرق يتمثّل بالخروج في مواكب عظيمة تبلغ الآلاف من الحجّاج والعسكر في منظر يثير الرعب في نفوس من تسوّل له نفسه الوقوف في طريق الحاجّ، إضافة إلى الخروج بأنفسهم لقيادة الحجيج، يقول الحميدان في دراسته عن الدولة الجبرية:

«وقد حرص أمراء الجبور على تأمين هذا الطريق - طريق الحاجّ - وما قيام أمرائهم شخصيّاً بقياده قوافل الحجيج إلّا تعبيراً عن حرصهم على سلامة هذا الطريق الحيوي. وإذا ما عرفنا بأنَّ قوافل الحجيج كان يرافقها عدد غير قليل من المحاربين لحراستها أدركنا أنَّ أمراء الجبور كانوا في الواقع يقومون عند مرافقة قافلة الحجّ بمظاهرة عسكرية لزرع الخوف في نفوس معارضيهم من رؤساء القبائل المختلفة، إضافة إلى كسب الأصدقاء».[2]

٢ـ تأديب القبائل المعتدية:

في تاريخ الدولة العيونية كان الأمير محمد أبوسنان العيوني (٥٢٠ـ٥٣٨هـ)، تولى

١. تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٤٤.

٢. التاريخ السياسي لإمارة الجبور في شرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٧.

بـلاد البحريـن في أعقـاب اغتيـال والده الفضل، وقد اشـتهر هـذا الأمير العيوني ببسـالته ونشـاطه في القضاء على المفسـدين والمعتديـن في أصقاع الجزيرة العربيـة وعلى الخصوص المعترضـين طريق الحـاجّ، حتى قال في شـأنه عـلي بن المقـرّب العيوني:

منـا الذي أصحب المجتـازَ من حلبٍ إلى العـراقِ إلى نجـدِ إلى أدمـا.[1]

فقـد كانـت القوافل التي تقطـع الطريق بين الأحسـاء إلى نجـد إلى مكـة المكرمة تعاني مـن مشـاكل قُطّاع الطـرق، فكان لهذا الأمـير اليد الطولـى في الحد مـن خطورتهم وتأمين وطمأنـة الحـاجّ إلى حدٍّ كبير.

يقـول شـارح ديـوان ابن المقـرّب العيوني عند الحديـث عن محمد بن أبي سـنان العيوني أنـه: «كان عـلى صـلاتٍ قويّة مع الخليفـة العباسي النـاصر لدين الله، واشـتهر بقضائه على قُطّـاع الطـرق الذين يعترضـون الحجّـاج في طريقهم إلى مكـة، وأخذ على أيدي مفسـدي العـرب حتـى صـار الراكب يسـير إلى عـمان من الأحسـاء وإلى العـراق وإلى نجـد وإلى الشـام فـلا يفزعـه أحد، وكذلـك القافلة أيـن أدركها الليـل باتت لا تخاف مـن أحد».[2]

كـما حرصـت الدولة الجبريـة منذ بدايتهـا على يد زعيمهـا الأول زامل بن حسـين على تأمـين طريـق الحـاجّ والقوافـل التجارية التي تسـير عـن طريـق أراضيها ومنهـا إلى نجد، وذلـك عـبر النيـل من القبائـل النجديـة التي تعـترض طريق القوافـل التجاريـة والذاهبة إلى الحـجّ، وقـد شـنَّ لذلك حمـلات متعددة على نجد منهـا ما وقع في سـنة ٨٥١هـ، حيث يقـول ابن بسـام: «وفي سـنة ٨٥١هـ، غـزا زامل بن جـبر العقيلي العامري ملك الأحسـاء والقطيـف، ومعـه جنـود عظيمة مـن البادية والحـاضرة وقصـد الخرج وصبـح الدواسر، وعايـذ عـلى الخـرج، وحصـل بينهـم قتال شـديد قتـل فيه عـدّة رجال مـن الفريقـين، ثم

١. أدما: هي قرية لبنانية من قرى قضاء كسروان في محافظة جبل لبنان.

٢. العيـوني، عـلي بـن المقرب ديوان ابن المقـرب، تحقيق و شرح: عبـد الفتاح محمد الحلـو، مكتبة التعاون الثقافي: الأحسـاء، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م: ٥٤٨.

سارت الهزيمة على الدواسر وعايذ، واستولى زامل على محلتهم وأغنامهم وإبلهم وأقام في الخرج نحو عشرين يوماً ثم قفل عائداً إلى وطنه».[1]

وكانت له حملة قوية على نجد سنة ٨٥٥هـ، ثم أتبعها بحملة شرسة سنة ٨٦٦هـ أخضع خلالها القبائل النجدية التي كانت تترصّد وتعترض طريق القوافل وتبطش بالحجّاج على حدٍ سواء.

هذا الأمر يقودنا إلى إدراك إنَّ بني جبر كان لهم اهتمام بجانبين:

الجانب الديني:

ويتمثل في الحج الذي هو من أركان الدين و شعيرة عبادية عظيمة حثت النصوص على أدائها، لذا ينبغي ردع كلّ من يحاول أو تسول له نفسه التعرض لحجّاج بيت الله الحرام بالسوء، ومن هنا تجلى هذا الجانب في الدولة الجبرية بكونها دولة دينية تهتمّ بالعلم والعلماء وتولي لهما أهمية كبيرة.

الجانب الاقتصادي:

باعتباره مصدر تمويل الدولة وقوتها وعزّتها أمام الأعداء، وأنهم دولة تحمل فكراً اقتصادياً وتجارياً مترامي الأطراف، حيث أولت الدولة الجبرية الحج منذ النشأة اهتماماً خاصّاً، وأدلّ دليلٍ على ذلك مشاركة أمرائها في موكب الحجيج في كلّ عام بأعداد كبيرة من الحجاج والجند، مما يعطي موكبهم هيبة عظيمة أمام الناظرين.

ومما يفسّر السرّ وراء هذا العدد من المرافقين في الركب الأحسائي في الحجّ، إنّ سلاطين الجبّور حرصوا على تأمين طرق التجارة في بلاد البحرين و نجد، وكان سلاطينهم يقومون بقيادة قوافل الحجيج شخصياً، وهذا يعدّ تعبيراً صريحاً على

١. تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، مصدر سابق: ٣٤.

حرصهم على سلامة الطريق الحيوي، وما يؤكّد ذلك أنه في عام ٨٩٣هـ، خرجت حملة بقيادة السلطان أجود ضد الدواسر، كما سبق ذكره في واحة الخرج لإخضاعهم، وقد ذكر المؤرخون أنّ السلطان أجود قد قام بالحجّ في تلك السَّنة.

ونستنتج من خروج السلطان أجود وتوجّهه لتأديب قبيلة الدواسر التي ربما خرجت لتهديد قوافل الحجيج المتوجّهة إلى مكة، لذا لازم السلطان أجود تلك القوافل العابرة لطريق الحجاز والذاهبة إلى مكة وحتى يؤمّنها من تعدي القبائل النجدية الأخرى إذا كان طريق قوافل الحجيج يعبر منطقة نجد إلى مكة.[1] وسبق أن أشرنا في تاريخ الحجّ الأحسائي ما اكتنف رحلة الحج من صعوبات على مرّ التاريخ زهقت أرواح مئات الحجّاج ضحيتها في بعض الفترات.

٣ـ توفير خدمات الطريق:

ونعني بتوفير الخدمات، حفر الآبار في طريق سير الحاجّ، إضافة إلى الخانات وأماكن الراحة التي تعدّ مستراحاً للحجيج من عناء السفر ومشقّته، وقد حرصت الدول الإسلامية والزعامات السياسية سواء في العهد الأموي أو العباسي وحتى الدول المتعاقبة على المنطقة خلال القرون المختلفة بالعناية بهذه الجانب، لما يمثله الحجّ من شعيرة دينية مقدسة فيها الأجر والمثوبة، وعليها يتنافس المؤمنون في البذل والعطاء، فيقيمون الأوقاف على سقيا الحاجّ وإطعام الدواب، وإيواء المشرّدين، وإسكان القادمين، وغيرها من الخدمات المختلفة التي تخفّف على الحاجّ عناءه وتسهّل عليه أداء فرضه.

٤ـ اختيار الطريق المناسب:

من المهام الكبيرة المنوطة بأمير الحاجّ أو من يتولى قيادة الحجيج أن يكون ذا خبرة

١. تاريخ الخليج[الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٤٦.

و دراية واسعة بالطرق المختلفة المؤدية إلى الديار المقدسة، ليقوم باختيار الطريق الأنسب والأفضل للحجيج، سواء لمناسبته بسبب عامل ازمن بأن يكون أكثر اختصاراً من غيره، أو للبعد الأمني، أو من حيث توفّر مصادر المياه، الأمر اللازم لسير قافلة الحجيج براحة وسلام.

وقد ذكرنا خلال الحديث عن العهد العثماني في الأحساء كيف تعتني الدولة العثمانية باختيار أنسب الطرق وأفضلها لتسهيل طريق الحاجّ، عبر توصيات خاصة لمتصرّف الأحساء بهذه المهمة.

٥ـ جعل المخصصات المالية لتأمين الطريق:

امتلأ طريق الحاج من مختلف اتجاهات بقُطّاع الطرق واللصوص الذين يفرضون ضرائب باهظة وثقيلة على الحاجّ للسماح لهم بالعبور أو القيام بقتلهم وسلب أموالهم، حتى أصبح الحجّ من الأمور التي لا يأمن الحاجّ عودته سالماً إلى أهله ووطنه فكانوا يكتبون وصاياهم ويودّعون أهاليهم وداع من لا يحتمل عودته، وقد حفل التاريخ الأحسائي بالعديد من المحن والحوادث التي ذهب ضحيتها عدد من الحجّاج.

فكان أحد الحلول الناجعة جعل عطايا سنوية لأمراء المناطق وزعماء القبائل الواقعة على طريق الحاجّ، مقابل قيامهم بحماية الحجيج أثناء عبورهم في أراضيهم، ومنع قُطّاع الطرق وأبناء القبيلة من اعتراض الحجيج، وقد ذكرنا بعض هذه المبالغ والعطايا والمنح التي خصّصتها الدولة العثمانية لأمراء المناطق في نجد، مقابل تأمين وصول الحجّاج وتسهيل عبورهم في أراضيها مع توفير الخدمات اللازمة لهم.

الباب الثاني

معالم طريق الحج الأحسائي

و فيه:

*** بيان بعض المصطلحات القديمة**

*** المسافة بين الأحساء والحجاز**

*** العوامل المؤثرة في تحديد طريق الحج**

* * *

* بيان بعض المصطلحات القديمة:

قبل التطرّق والكتابة عن المسافة التي يقطعها الحاج من الأحساء إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة، يجدر الإشارة إلى توضيح بعض المصطلحات التي كانت معروفة ومتداولة في تلك الأزمنة الغابرة، والتي تتمثّل في وحدات قياس المسافة والزمن، وذلك على النحو التالي:

البريد:

وهو أربعة فراسخ، والفرسخ: ثلاثة أميال، فإذا كان الميل يساوي (١٦٠٩ كم)،

فيمكـن تحديـد المسـافة بالكيلو ليكـون مقدار الفرسـخ يسـاوي (٨٢٧/ ٤كم)، فـإذا قلنا البريـد أربعة فراسـخ فالنتيجة تكـون أنَّ البريد يسـاوي (٣٠٨/ ١٩كـم) تقريباً.

الذِّراع:

وهـي مـن رأس أطـول أصبع في اليـد إلى نهاية عظم المرفـق (مـن ذراع الآدمي المعتدل الخلقـة)، والـذراع المعتدل بمقاييس الطول الحديثة يسـاوي قرابـة (٤٨/ .متر).

الفرسخ:

الفَرسَـخ: جمـع فَرَاسِـخ، وهـو مـن مقاييـس المسـافة قديـماً. وأصـل الكلمة فارسـية معربـة مـن كلمـة (پرسـنگ) أو (پارسـنگ)، وتجمـع أغلـب المراجـع اللغويّـة عـلى أنّ الفرسـخ يعـادل ما بين أربعة وسـتة كيلومترات في النظـام الدولي الحـالي،[1] وعرّفه البعض فقـال: الفَرْسَـخ بفتـحٍ فسـكون لفظٌ معـرّب، وجمعه فراسـخ، وهـو مقياس مـن مقاييس المسـافات مقـدره ثلاثـة أميـال أي إثنا عـشر ألـف ذراع ممـا يسـاوي (٥٤٤/ ٥كم).

المرحلة:

هي مسـيرة يـوم كامل للإبـل، ويقدّر خـبراء الإبل بأنّ أقصى ما تمشـيه الإبـل في اليوم هـي مسـافة تقـدر مـا بـين ٧٠ إلى ٨٠ كـم، ومقصودهـم في النهار، أمـا الليل ففـي العادة تتوقّـف القافلـة عـن المسـير من أجـل النـوم والراحـة، وقد تقـصر المسـافة نظـراً لتعرّج الطريـق وانحنائاته ووعورته فتصل المسـافة اليوميـة المقطوعة إلى ٤٠كـم، وهناك تعريف آخـر للمرحلـة وهـو كما يلي: المرحلـة: بريـدان والبريد: أربعة فراسـخ، والفرسـخ: ثلاثة أميـال عباسـية، فتكون المسـافة ثمانية وأربعـين ميلاً.[2]

---

١. موسوعة ويكيبيديا العالمية على شبكة الإنترنت.

٢. مجلة الرسالة الإسلامية. بغداد. العدد ١٢ من السنة ٢٣: (١٤٠٠هـ-١٩٨١م): ٣٤.

الميل:

وهـو مـن وحـدات القيـاس الطوليّـة التـي ذكرهـا الرحّالـة الأقدمـون في حسـابهم للمسـافات، وهـو بحسـب المقاييـس الحديثـة المعتمـدة فـإنَّ الميـل الواحـد يعـادل (٦٠٩/ ١كـم).

منزل:

وهـو مصطلـح يطلـق عـلى المـكان الـذي تتوقّـف فيـه القافلـة بعـد مسـيرها الطويل مـن أجـل التـزوّد بالمؤن وأخذ قسـطٍ مـن الراحة، ويكـون (المنـزل) إما مأهولاً بالسـكان كالقـرى حيـث الآبـار وتوفّـر المـاء حـول الواحـات، وقـد تكـون فقـط مناطـق معروفة ومشـهورة تقـع ضمـن طريـق الحـاجّ، وهـي عـلى مسـافات مختلفة قـد تطـول وتقصر.

ولهـا مسـمّيات معروفـة ومتداولـة بـين الرحّالـين، فيقولون مثـلاً بين البـصرة ومكة المكرمـة ٢٨ منزلـة، أي محل للنـزول والتوقف، أو نقطـة عبور يتم المـرور عليها، ويختلف عددهـا و مسـمياتها من طريق إلى آخـر من ناحية العـدد والأماكن، علـماً أنّ بعض الطرق تتقاطـع في بعـض المواقع و تفـترق في أخرى.

يوم:

وهـو في حقيقتـه يعود إلى (المرحلـة)، حيث يقصدون به مسـيرة يوم بالإبـل، فيقولون بـين الأحسـاء والعـارض سـتة أيـام، وبـين العـارض ومكـة المكرمـة ثمانيـة عشـر يوماً وهكـذا...، وهـي عبـارة عن مسـيرة يوم للإبـل في حالته الطبيعية المسـتوية، مع حسـاب التوقفـات المعتـادة، فهـو حسـاب تقريبي وليس عـلى وجه الدقـة، وقد يختلـف من وقت لآخـر تبعاً لبعـض الظـروف، وحجم القافلـة وأعـداد مرافقيها.

فعلى سـبيل المثال المسـافة بين الأحسـاء إلى البريمـي في عمان يرى (لوريمـر) أنه يمكن قطـع المسـافة بـين الهفوف والبريمـي في عـشرة أيام، أمـا القوافـل فتقطع المسـافة في مدة

شـهر،[1] ونلحظ مقـدار التباين في الوقـت بين الأفـراد والقافلة.

وتكمـن أهميـة تحديد الأيـام والمراحل في تقدير الوقـت الذي تسـتغرقه الرحلة ليكون الإسـتعداد بحسـبها من حيث التزوّد بالمؤن.

* المسافة بين الأحساء والحجاز:

تعـدّدت الأقـوال في تحديـد المسـافة بين الأحسـاء وبلاد الحجـاز تبعاً لإفـادات مختلفة مـن المؤرخـين، وذلـك بشـأن تقديـر المسـافة الطوليـة والزمنيـة التـي اسـتغرقوها أثنـاء رحلاتهـم التـي قاموا بها بـين الأحسـاء والحرمين الشريفين مكـة المكرمة والمدينـة المنورة، وهنا سـنحاول اسـتعراض عـدد من هـذه الأقوال لنتعـرّف عـلى المسـافة وتقديراتها، من خلال عـدّ اعتبـارات مختلفة:

أولاً: من خلال الطريق المباشر، المسافة بين الأحساء ومكة المكرمة:

وردت في المصـادر القديمـة عدّة تقديرات للمسـافة بين الأحسـاء ومكـة المكرمة تبعاً لتجربـة الرحالـة أو صاحـب قافلـة الحـجّ، وهـي في حقيقتهـا تقديرية لاختلاف المسـافة تبعـاً لعوامـل عديـدة نـأتي عليهـا فيما بعـد، فقـد ذكـر الجغرافيـون والمؤرخـون والرحالة المسـافة التـي يقطعها الحـاج من الأحسـاء إلى مكـة المكرمة، ولهـم في ذلك أقـوال مختلفة.

يقول ناصر خسرو (ت٤٨١ هـ) في كتابه (سفرنامه):

«بعـد إتمـام الحج اسـتأجرت جمـلاً من أعـرابي لأذهب إلى الحسـا، وقيل إنهـم يبلغونها مـن مكـة في ثلاثـة عشر يومـاً»،[2] وهـو كلام غـير دقيـق، إلّا إذا كان الحديث عـن الأفراد

١. عبـد الله، الدكتـور محمد مرسي، إمارات السـاحل وعـمان والدولة السـعودية الأولى١٧٩٣ـ١٨١٨م، المكتـب المصري الحديـث؛ القاهرة، الطبعـة الأولى،١٩٧٨م: ٤٢ .

٢. سفرنامه، ناصرخسرو، مصدر سابق: ٣٨.

ومـن يحثّـون السُّرى ليـلاً ونهـاراً، ولا يتوقّفون إلّا لسـاعاتٍ قليلة.

بينـما يقـدّر المـؤرِّخ عبـد القـادر بـن محمـد بـن عبـد القـادر الأنصـاري الجزيـري (٩١١ـ٩٧٧هـ) في مطـاوي كتابـه «درر الفرائـد المنظمـة في أخبـار الحـاج وطريـق مكـة المعظمـة»، المسـافة بقولـه: «بين الأحسـاء ومكـة المكرمة ثلاثمئـة وثلاث وثلاثـون ميلاً، بـما يعـادل مئـة وإحـدى عـشر فرسـخ، في الجهـة الغربيـة منهـا».[1]

والـكلام هنـا لا يخلو من مبالغة كسـابقه، فالمسـافة أطول مما قاله بكثـير، وكلامه مبني على السـماع لا على التجربة وخـوض الطريق.

ومـمـن قـام بتحديد المسـافات بين الأحسـاء والديـار المقدسـة، والمناطق الأخـرى التي عـلى طريـق الحاج الأحسـائي وقد اسـتفاد منـه من جاء بعـده هو حاجي خليفـة المعروف بـ «كاتـب جلبـي»، (١٠١٧ـ١٠٦٨هـ) حيث يقول:

«فصـل بيـان نجـد (العـارض)... بلـد واسـع يخترقـه جبـل يسـمونه جبـل العارض ويسـمونه الآن جبـل العمارية، إلّا أنهـم لا يدخلـون في طاعـة الأشراف، وبدايـة هـذا الجبـل تبعـد عن الحجـاز ثلاثـة مراحل، ويمتـد أحدهـا إلى نجـد العارض، وغـرب هذا الجبـل يقـف مثـل الجدار مـن الحجر الأبيـض، والوجـه الشرقي منـه أرض رمليـة، وتقع حجـر اليمامة في وسـط وجـه الحجر الشرقـي، وهي تبعد عـن الوجه الحجري مـن اليمامة مرحلتـين، وتقـع سرين في وسـط العـارض ويوجد في هذا الجبـل وادٍ يسـمونه وادي بني حنيفـة وفي هـذا الـوادي توجد الميـاه والأشـجار والنخيل في غايـة من الجـمال وقد زينت في أطرافهـا القـرى، ويوجـد في أعلاهـا بلـدة الدرعيـة، وفي أسـفلها ضبيـع، وأهلهـا بنو تميـم وشـيخهم آل مريـد، والدرعيـة تقع عـلى طريق حجّـاج الأحسـاء، ووادِيهـا في غاية الصعوبـة، وبـلاد العـارض تقع على هذا الـوادي، ويوجـد بالقرب منها جبـل أبو عوف، والعيينـة بلـدة جميلـة وهـي تقع في الشـمال الغـربي مـن الدرعية وبهـا عنب فاخـر وخوخ

١. أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ٢: ٤٧.

وتمـر وخوخهـا ينبت من نفسـها، أما ملهم فتبعد سـت مراحـل من الأحسـاء ويوجد بها قصب السـكر والتمـر والعنـب والخوخ».[1]

إلى أن يقول:

«أمـا مـراة (مـرات)،[2] فهي تبعـد عـن الدرعية مرحلتـين، وبها مـاء ونخيـل، ووقف مـراة يبعـد شـمال غربها سـتة أميـال وبهـا نبع ميـاه، وتبعـد عـن الدرعية مرحلتـين، ومن شـقراء خمـس مراحـل ولها واديـان يقعـان بالقرب منهـا، وفي شـقير، يوجد أثـمار، وبلدة الريـاض تقـرب مـن الأحسـاء، وهـي تشـمل على بلـدات وقـرى مـن بلداتهـا منفوحة، وهـي تبعد عن الأحسـاء سـت مراحـل، وبقرب قصـر الدرعية توجد معـكال، في شرق الدرعيـة وهـي تقـع في مرحلة واحـدة مـن اليمامة».[3]

وأوضـح «كاتـب جلبي» منـازل وطرق حجاج الأحسـاء التـي تمر بالعارض، فأشـار بالقـول: «إلـى جُـودة ومنهـا إلى ضـان إلى الدهنـاء إلى دحـل وإلى جبـل عرنـة، ومنها إلى ملهـم إلى جفـر إلى ربـض - لعلهـا الرياض - إلى الدرعية إلى حيسـية إلى مـراة (مرات) إلى الشعراء».[4]

«أمـا حاج السـلمية والـدلم فيخرجون منهـا إلى وادي بريـك ونعام، ثم يتجهـون غرباً (غـرب العارض).

ويمر على هذا الوادي أيضاً طريق ركب الحساء والقطيف، وفيه يقول الشاعر:

لَعَلَّـكَ تُوطِينِـي نَعَامـاً وَأَهْلَـهُ وَلَـوْ بَـانَ بِالْحُجَّـاجِ عَنْـهُ طَرِيـقُ

---

١. قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٩٣ـ٩٤.

٢. مـرات: محافظـة تقع في الجهة الشـمالية الغربيـة لمدينة الرياض بالمملكـة العربية السـعودية وتتبع إدارياً لمنطقة الرياض.

٣. قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٩٥.

٤. م. ن.: ٩٧.

وهـذا الـوادي مـن أكـبر الطـرق المعتـبرة للقوافـل التـي تمتـار مـن الحوطـة والحريق والخـرج مقبلـة مـن العالية وعائـدة إليها ومعـه طريق حجّـاج تلك الجهة ومـا يصاقبها،[1] شرقاً».[2]

ففـي هـذا الـكلام تتضح بعض معـالم الطريق التـي تتخلّل طريـق الحاجّ من الأحسـاء إلى الديـار المقدسـة، لكنّ «كاتب جلبـي»، لم يعطِ مسـافاتٍ دقيقة أو مترابطه نسـتطيع من خلالها تحديـد معـالم الطريق الـذي أراد بيانـه، بغرض معرفة مجموعـة من أهم المحطـات والمعالم التي يتوقّـف عندهـا الحـاج الأحسـائي في طريقه وما تمتـاز به من خصب ورعـي وجبال.

وهنـا نشـير إلى أنّ ابـن علـوان الدمشـقي سـلك طريـق الحـاجّ الأحسـائي في زيارتـه للأحسـاء، وذلـك عندمـا قفل راجعـاً من حجّه لبيـت الله الحـرام وزيارة المسـجد النبوي مريـداً بذلـك زيـارة العتبـات المقدسـة بالعـراق وذلـك عـام ١١٢١هـ، فحينما سـئل عن المسـافة بـين الأحسـاء ومكة المكرمـة ذكر أنه قطعهـا مع الركـب في ثمانية عشر يومـاً، وإنَّ الإيـاب من مكـة إليهـا يبلغ خمسـة وعشريـن يوماً.[3]

المسافة بين الأحساء والمدينة المنورة:

توجـد عـدّة تقديـرات للمسـافة بـين الأحسـاء والمدينـة المنـورة، إذ يُقـدِّر الجغـرافي «الإصطخـري» في كتابه «المسـالك والممالك» المسـافة مـن البحرين إلى المدينـة المنورة بنحو خمـس عـشرة مرحلة.[4]

---

١. يصاقبها: أي يجاورها.

٢. قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ١٠٢.

٣. الدمشـقي، السـيد مرتـضى بـن علـوان، رحلـة مرتـضى بـن علـوان إلى الأماكن المقدسـة والأحسـاء والكويـت والعـراق، تحقيـق و تعليـق: أ. د. سـعيد بـن عمـر آل عمـر، مكتبـة المتنبـي: الدمـام، الطبعة الثانيـة: ١٤٢٥هـ: ١١١.

٤. الإصطخـري، أبـو إسـحاق إبراهيم بـن محمد الفـارسي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، المسـالك والممالك، الهيئة العامـة لقصور الثقافـة: القاهرة الطبعـة الأولى: (د.ت): ٢٨.

أما صاحب «أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك»، فيذكر بأنّ المسافة بين الأحساء والمدينة المنورة ٢١ يوماً، حيث يقول واصفاً الأحساء:

«وهي ذات نخيل كثيرة ومياه جارية ومنابيعها حارَّةٌ شديدة الحرارة، وهي في البرية،... وليس للأحساء سور، وبين الأحساء واليمامة مسيرة أربعة أيَّام»،[١] ثم يذكر أنّ المسافة المقدّرة بين اليمامة والمدينة المنورة هي خمس عشر مرحلة.[٢]

ثانياً: من خلال الطريق غير المباشر:

ويمكن حساب المسافة بطريقة أخرى، وذلك باعتبار تقسيم المسافة إلى نصفين من الأحساء إلى اليمامة، ومن اليمامة إلى مكة المكرمة وهي كما يلي:

المسافة من الأحساء إلى اليمامة:

هناك عدة تقديرات للمسافة نذكرها، وهي:

المسافة بالفراسخ:

فقد ذكر «ناصر خسرو» المسافة ناظراً لعدد الفراسخ التي تفصل بين البلدين، فيقول: «وَمن الْيَمَامَة إلى الحسا أَرْبَعُونَ فرسخاً وَلَا يَتَيَسَّر الذّهاب إليها إِلَّا فِي فصل الشتَاء حِين تتجمّع مياه الْمَطَر فيشرب النَّاس مِنْهَا، وَلَا يكون ذَلِك فِي الصَّيف».[٣]

ووفق هذا التقدير لو أردنا ترجمة المعنى المقاييس الحديثة فإنّ المسافة بحسب قوله

---

١. البروسوي، محمد بن علي، الشهير بابن سباهي زاده (ت٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تقديم و تحقيق: المهدي عيد الرّواضية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ١٣١.

٢. أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مصدر سابق: ٧٣٣.

٣. سفرنامه، ناصر خسرو، مصدر سابق: ١٤٢.

تكون كالتالي:

* الفرسخ ثلاثة أميال = ٣× ٦٠٩/ ١ =٨٢٧/ ٤كم

* المسافة كاملة: ٤٠ × ٨٢٧/ ٤ =٠٨/ ١٩٣كم

والصحيح أنّ المسافة بحساب الكيلومتر هي ٤٥٠كم، فحتى لو قلنا باختلاف الطرق بين الماضي والحاضر فمن غير المعقو أن يكون الفارق بهذا الحجم الكبير.

وهذا يعطينا اعتقاداً جازماً بعدم صحة كلام ناصر خسرو، من حيث أنَّ كلامه أبعد ما يكون عن الواقع واعتماده على النقل في تحديد المسافة.

المسافة بالأيام:

أما صاحب (أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك)، فقد حسب المسافة باعتبار آخر وهو عدد الأيام التي يستغرقها الطريق بين البلدين، حيث يقول: «وليس للأحساء سور، وبين الأحساء واليمامة مسيرة أربعة أيَّام، وأهل الأحساء والقطيف يجلبون التمر إلى الخرج وادي اليمامة، ويشترون بكل راحلة من التمر، راحلة من الحنطة».[1]

وهذا خلاف ما ذكره «الحموي» في معجمه من أنَّ المسافة بين البحرين واليمامة مسيرة عشرة أيام.[2]

وقد اختلفت التقديرات بين أربعة أيام إلى عشرة أيام، فإذا قلنا بأنَّ المسافة اليومية التي يمكن قطعها في حدود ٧٠كم تقريباً فإنَّ المسافة تستغرق ما تعادله بالأيام حسب الآتي:

---

١. أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مصدر سابق: ١٣١.

٢. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م. ٥: ٤٤٢.

* ٤ أيام = ٢٨٠كم

* ١٠ أيام = ٧٠٠كم

وكلا القولين بين المبالغة والتقصير في تقدير المسافة، بينما حدّده البعض بسنة أيام، وهو الأكثر دقة وعليه يكون:

* ٦ أيام = ٤٢٠كم.

المسافة من اليمامة إلى مكة المكرمة:

في حين ذكر بعض البلدانيين أنّ المسافة بين اليمامة ومكة المكرمة خمس عشرة مرحلة.[1] فإذا قلنا بأنَّ مسير الإبل في اليوم حدود (٧٠) كم، فإنّ المسافة تكون بين اليمامة ومكة حدود (١٠٥٠) كم، وهي مسافة ليست بعيدة عن الواقع، لو كان الطريق مباشراً وقليل التعرّجات التي نجدها اليوم في سير السيارات الحديثة.

* العوامل المؤثرة في تحديد طريق الحج:

الراصد لخط سير الحجّاج مِن و إلى الأحساء والمتتبّع لحركتهم و تنقلاتهم يلحظ تباين التقديرات الحسابية للمسافات المقطوعة بين مختلف القرى والمحطّات والمنازل من لدن المؤرخين والرَّحالة، ولعلّ مردّ ذلك عدّة عوامل شاخصة ينبغي أخذها بعين الاعتبار، وأهمّها ما يلي:

١ـ اختلاف الطرق:

كثيرة هي الطرق المسلوكة من الأحساء إلى اليمامة أو من الأحساء إلى مكة المكرمة،

١. ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، مطبعة بريل: مدينة ليدن، الطبعة الأولى: ١٨٨١م: ٥٠.

وقد تختلف المسافات باختلاف الطريق التي هي متباينة طولاً وقصراً وهذا ما سنلاحظه خلال الصفحات القادمة في تحديد المناطق التي يمرّ عليها الحاجّ الأحسائي، أو الطرق بين الأحساء ومكة المكرمة، والتي ذكرها الجغرافيون في مدوّناتهم وتصانيفهم.

وهذا الاختلاف البيّن في المسافات بين النُّزل القائمة على الطريق أتاحت لقوافل الحجّ فرصة للمراوغة والوصول إلى الديار المقدسة بعيداً عن الطرق المعهودة والتي يترصّدها عادةً قُطّاع الطرق من القبائل القاطنة وسط الصحراء، وتشكل عقبة كَأْدَاء أمام الوصول بسـ لمكة المكرمة.

٢ـ حالة الطقس حين المسير:

فقد ذكر المهتمّون بدراسة الطرق والمسالك أنَّ الحجّاج كانوا يسلكون طريقاً معيّناً إذا كان موسم الحجّ في فصل الصيف، مختلف عنه في فصل الشتاء، وذلك أنه في الصيف تحتاج القافلة إلى البحث عن منابع الماء والمنازل طوال الطريق للتوقّف عندها من أجل التزوّد بالماء، وسقي الإبل من جهة أخرى، وهذا قد يحرفهم عن الجادّة لمسافات طويلة تسهم في تأخر الوصول وطول المسافة.

بخلاف لو كان موسم الحجّ يصادف فصل الشتاء فإنَّ الحاجة للماء تكون أقل والدوابّ أكثر تحمّلاً للعطش، وبالتالي يأخذ الطريق مساراً آخر، يتناسب مع طبيعة الطقس، فيكون انتقاء أقرب الطرق الموصلة إلى مكة.

يقول الشبانات في كتابه عن بلاد الصمّان حول مسير القوافل من البحرين إلى الحجاز:

«تتنقل برّاً بواسطة الجمال إلى أواسط نجد، ومنها إلى الحجاز كقوافل الحجّاج، وكانت قوافل الإبل المحملة بالبضائع والمؤن والمسافرون تشق طريقها في الصحراء عبر دروب متعددة حسب جهتها، وهذه القوافل تمرّ في طريقها بصحراء الصمّان، فيعمد سالكوها المرور بموارد الماء الموثوق بها، خصوصاً في فصل الصيف، وفي الشتاء

يسلكون دروباً غير مشهورة لا تمرّ بموارد الماء لكونها أقصر مسافة، ولأنّ الإبل لا تحتاج إلى الماء في الشتاء مثل الصيف».[1]

ومثل هذا الكلام تكمن أهميته أنه لا يختص بالسائرين على طريق الصمّان إلى اليمامة فقط، وإنما يشمل جميع مراحل الرحلة إلى الديار المقدسة سواء في الذهاب أو الإياب، حيث يكون هناك منازل، وصحاري يعبر عبرها الحاج، منها ما هو طويل المسافة، ومنها ما هو أكثر اختصاراً، إلّا أنه أحد العوامل المؤثرة في اختيار الطريق هي مسألة الطقس حارّاً أو بارداً.

ومن جهة أخرى - في مثل هذه الظروف رغم البحث عن الطرق القريبة لقلة الحاجة للماء - فإنه ينبغي مراعاة تجنب السير بين الجبال والأودية قدر المستطاع لما قد يحدث فيها من سيول جارفة نتيجةً لوقوع الأمطار على قمم الجبال، مما يجعل السير والعبور منها من الأمور العسيرة ويكتنفها الكثير من المجازفة والمخاطرة.

٣ـ البعد الأمني في الطريق:

عطفاً على ما سبق استطراده من بيان في مطاوي البحث فإنّ طريق الحاج محفوف بالمخاطر ومليء بقُطّاع الطرق وممن يأخذون ضريبة العبور من رجال البادية، مما يرهق الحاجّ ويكلفه الـ ثير، لذا يراعي أمير الحاج توخّي الحذر أبان سيره بالبعد عن مواطن تجمع قُطّاع الطرق، أو مخيمات البدو ذوي السمعة السيئة في طريق الحجّاج.

وقد سبق أن أشرنا لبعض الحوادث المتعلقة بطريق الحاجّ الأحسائي، وإن كانت المأساة عامة شاملة لجميع الطرق المختلفه، فهناك تقاسم داخلي بين القبائل للصحراء وطرق الحاجّ بحيث تتولى كلّ قبيلة جزءاً منها تتصيد من خلاله القوافل الواصلة بغرض فرض ضريبة وإلزامهم بدفعها طوعاً أو كرهاً مقابل قطع هذا الجزء من

١. الصمّان، بحوث وتحقيقات جغرافية ميدانية، مصدر سابق ١: ١٤١.

الطريـق، بحيـث إن الحـاجّ لـو تجـاوز عقبة لا يضمـن نجاته مـن الأخرى، وحتـى قدرته الماليّـة قـد تتضعضـع جرّاء مـا يسـتنزفه على شـكل ضرائب.

لـذا قـد يصـادف في بعـض الأعـوام إنّ الحجّـاج يرجعـون مـن حيـث أتـوا نتيجـة للأزمـات والصعوبـات التـي تكتنف الطريـق، فلا يكون حـجّ في ذلك العـام نظراً لضيق الوقـت وفـوت الموسـم عليهم.

وقـد يلجـأ قائـد القافلـة وأمير الحـاجّ إلى اللجـوء للطريق البحـري بأن يركـب البحر مـن ميناء العقـير إلى جـدّة ملتفاً عـلى الجزيرة العربيـة، ومنهـا إلى مكة نظراً لقصر المسـافة وقلـة القبائـل المتواجـدة عليـه، بالإضافـة إلى حـرص الـدول الحاكمـة على تأمـين طريق الحـاجّ قدر المسـتطاع وحماية سـالكيه.

٤ـ خبرة الدليل:

لا يمكـن لأي ركـب أن ينطلـق إلّا بوجـود دليـل ومرشـد خبـير بمواقـع النجـوم والمنـازل والطـرق بتعرجاتهـا ووعورتها، فإذا كان عـلى دراية كبيرة جنّبهـم وعورة الطريق والمسـافات الطويلـة عـبر اختيـار أحسـن وأفضل الطـرق للوصـول إلى مكـة المكرمة.

لهـذا بـرزت مجموعـة ممـن لديهم خـبرة بطرق الحـاجّ سـواء من أهـل المنطقـة أو دليل مـن أهـل البادية، ويشـترط فيـه معرفته بالمسـافات وأماكـن الآبـار والمنازل التـي يتوقف عندهـا الحـاجّ، كـما يشـترط أن تكـون لديـه إحاطـة تامّة بالطـرق البديلـة التـي يمكن أن يسـلكها الحجّـاج عند انغـلاق طريق الجـادّة.

كـما أنَّ هنـاك جانـب مهمّ في شـخصية الدليـل لا يمكن تغافلـه، وهو خبرتـه ودرايته وعلاقاتـه العامّـة بالقبائل التـي تعيش في طريق الحـاجّ، علاوةً على ذلك معرفته بمسـاحة تمدّدهـا الجغـرافي وحدود نفوذهـا ليتجنب القبائل ذات الصيت السـيء المشـهورة بقطع الطريق واسـتغلال موسـم الحج في النهب والسـلب.

٥ـ حجم القافلة:

إنَّ حجم القافلة وضخامتها له أثر في سرعة وبطىء سير القافلة، فكلما كبر العدد كلما كان هناك حاجة لكثرة التوقفات ومراعاة الضعيف فيهم، كما أن توقفاتهم للطعام أو لقضاء الحاجة تطول مما يسهم بدرجة في طول المسافة.

٦ـ اقتناء البضائع والمؤن:

عادةً ما يأخذ الحجّاج سواء عند الذهاب أو الإياب بضائع ومنتجات وحرفيّات من بلدهم إلى مكة المكرّمة، مما يسهم في تثاقل حركة النقل والمشي في القافلة، وهنا لفتة مهمة أشار إليها ابن علوان عندما سأل الحجّاج عن المدّة يستغرقها الطريق بين الأحساء ومكة المكرمة ذهاباً وإياباً، فقال: «وذُكِرَ لنا أنّ المسافة من الحسا إلى مكة أتوها الحاجّ بثمانية عشر يوماً، وإنَّ الإياب من مكة إليها يبلغ خمسة وعشرين يوماً».[١]

من هذا الاقتباس نلحظ أنَّ الفارق هو (٧) أيام زيادة لصالح الإياب، وذلك بسبب الهدايا التي يحملها الحاج معهم لأهليهم وأقاربهم كبركة من الديار المقدسة، وقد يكون الإنهاك والتعب في العودة ممن يجعلهم أضعف وأكثر حاجة للراحة. كما ممكن للقوافل في طريق العودة أن تتخذ مساراً مختلفاً عن طريق الذهاب تحسباً لوجود من يكمن لهم في الطريق ويترصدهم، لأنّ الحاجّ بعد فراغه من أداء المناسك همّه الأكبر الوصول سالماً بغضّ النظر عن الوقت الذي يستغرقه ذلك، لذا يعمدون لطرق بعيدة لكي تكون أكثر أمناً وسلامة من الطرق المختصرة والمطروقة من الحاجّ.

٧ـ العامل التاريخي:

ونقصد به التعاقب التاريخي للحقب الزمنيّة، فقد نلاحظ محطّات ومنازل متآخمة

١. رحلة ابن علوان، مصدر سابق: ١١١.

لطريق الحجّ تتغيّر مسمّياتها وحتى مواقعها من فترة إلى أخرى، وقد يصل الأمر إلى اندثارها وطمس معالمها.

ذكر المؤرّخون والجغرافيون الأوائل أنَّ للحاجّ الأحسائي عدّة طرق مختلفة تبعاً لما سمعوه، أو ما لمسوه من خلال تجاربهم الشخصيّة، وذلك لرحلة الحجّ من الأحساء إلى مكة المكرمة أو العكس.

وهذا قد يتأثر نتيجةً لاندثار المعالم والشواهد العلامات وبروز معالم أخرى في نفس المـ ـن أو ما جاوره، فما كان عامراً ومزدهراً في حينٍ من الوقت وسبباً لاتخاذه طريقاً في زمنٍ من الأزمنة، قد يصبح مهجوراً ومتروكاً في زمن آخر، وتبعاً لهذا يتغير الزمن والمسافة.

* الفصل الأوّل: الطرق المباشرة إلى مكة المكرمة

طرق ومنازل الحاجّ من الأحساء إلى مكة المكرمة:

وردت في المصادر التاريخية مجموعةٌ من الطرق التي سلكها حجّاج الأحساء على مدى العصور الإسلامية، حيث استطعنا رصد مجموعة منها من خلال المصادر التاريخية وما سطّره الرحّالة في مدوّناتهم، وهي كما يلي:

الطريق الأول، الطريق القديم من الأحساء إلى مكة:

سلك الأحسائيون خلال تاريخهم الطويل عدّة طرق إلى الديار المقدسة تبعاً للظروف المختلفة، حيث عاصروا الحقب التاريخية التي أسهمت في تغيّر الطرق والمنازل التي اعتاد الحجّاج التوقف عندها للتزوّد والراحة.

وسنعرض هنا واحداً من الطرق التي تعود إلى القرن الثالث الهجري، والذي يعد من أقدم الطرق التي تمّت الإشارة إليه للحاجّ الأحسائي، وقد رصدناه من خلال

ثلاثة جغرافيين لهم باعٌ واسع في معرفة الطرق والمسالك بمختلف البلدان، حيث أشار كلُّ واحدٍ منهم إلى جزئية من الطريق لتكتمل الحلقة من ا لأحساء إلى مكة المكرمة، وهي على ثلاث مراحل:

* المرحلة الأولى، من الأحساء إلى اليمامة:

تعدّ الأحساء البوابة البحرية لمنطقة نجد وما حولها، كما أنّ نجد هي طريق القوافل الخارجة من الأحساء والمتجهة لوسط الجزيرة العربية من أجل التجارة أو إلى الحجّ، وحيث أنّ منطقة الخرج هي أقرب المناطق للأحساء من جهة تهامة، لهذا كانت قوافل أهل نجد من الدواسر إلى حوطة بني تميم يأتون إلى الخرج لمرافقة القوافل الميمّمة شطر الأحساء عبر (الوسيع) أو (أبوجفان)، ويتبعهم أهل شمال نجد وحجر اليمامة لبدء رحلتهم إلى الأحساء، وذلك لأنَّ هذين الموردين لا يوجد بعدهما موارد ماء معتمدة في الطريق إلى الأحساء (مسافة ٤ أيام)، كما أنّ رمال صحراء الدهناء تكون مسافة عرضها أقل عبر هذا الطريق المعروف قديماً بـ: (طريق زري)، والوقت الحاضر بـ: (درب مزاليج)، وقد أشار الهمداني إليه في طريق الأحساء اليمامة.

وإليك وصف الطريق الذي ذكره أبو محمد الحسن الهمداني، مع تحقيق الأماكن التي ذكرها الهمداني، وتبيين المصطلحات الموجودة في النص، لما لذلك من أهمية تكمن في معرفة طبيعة رحلة الحجّ وما يكتنفها من صعوبات.

فقد ذكر الهمداني (٢٨٠ - بعد ٣٣٦هـ)،[1] في كتابه: «صفة جزيرة العرب»، عند الحديث عن درب حاجّ الأحساء إلى اليمامة:

---

١. أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان الأرحبي البكيلي الهمداني (٢٨٠ـ بعد ٣٣٦هـ)، من أعظم جغرافيي جزيرة العرب في عصره، وكان شاعراً كذلك، وله إحاطة بعلوم الفلك والحكمة والفلسفة والكيمياء. سجن في أخريات حياته، وكان من أهم ما كتب الجوهرتين العتيقتين. قضى بعد السجن عام ٣٣٦هـ.

«وإذا أراد أهل البحرين التوجّه إلى اليمامة صعدوا الطريق، فيكون عن يمينك «خرشيم»،[1] وهي هضاب وصحراء مطّرحه إلى«الحفرين» وإلى«السّلحين»،[2] و«الحفران» هما حفر الرّمّانتين، وهن من مياه «العَرْمَة»،[3] وأمام وجهك وأنت مستقبل مغرب الشمس مطلعك من الجيش. «فالحابسيّة»،[4] ثم «مزلقّة»،[5] مفعّلة، ثم «الموارد»، ثم «الفروق الأدنى»، ثم «الفروق الثاني»،[6] ثم تطلع من الفروق من الخوار؛ «خوار

---

١. خرشيم: لعل المراد بها (خُرَيشيف): قال ياقوت: «خِرشَاف: موضع بالبيضاء من بلاد بني جذيمه بسيف البحرين في رمال وعثة تحتها أحساء عذبة الماء عليها نخل بعل»، ويقول الجاسر في معجمه أنه: «بسيف القطيف». معجم البلدان ٢: ٣٥٩، حمدالجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية: (البحرين قديماً)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ٢: ٥٩٨.

٢. يعرفان الآن باسم (سلّح ورويغب)، وهما منهلان يقعان غرب الدهناء، قال صاحب المعجم: «وهي هجرة من هجر البادية، للسهول لآل منجل، والمحانية منهم في أعلى شعب من شعاب وجه العرمة الغربي، وبأسفله أبارق شقر تضاف إليه، فيقال (شُقران رويغب) وعند الأقدمين يجمع مع ماءها (السّلْح) فيقال: «السّلْحَيْن، كالحفرين، قال الهمداني: إلى الحفيرين وإلى السلحين»، بن خميس، عبد الله بن محمد، معجم اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الر اض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، ١: ٤٩٠.

٣. العَرْمَة: ماءٌ عدّ، يقع في ناحية الرقاش الشرقية، شمال وادي القمرا، وسمّي بهذا الاسم نسبة إلى مالكه العرم الشيباني، وهو في أطراف بلاد عتيبة مما يلي بلاد الدواسر، جنيدل، سعد بن عبد الله، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، دار اليمامة، الرياض، ط.١. (د.ت) ٣: ٩٣٨.

٤. الحابسية: لعلّه يقصد من: أحباس، تجعل للماء، والحبس الماء المستنقع، وقيل الحبس حجارة تبنى على مجرى الماء لتحبسه للسارية، ويسمى الماء، معجم البلدان مصدر سابق ٢: ٢١٣.

٥. قولهم مكان زلق أي دحض، وزلقت رجله تزلق زلقاً، والزلاقة: الموضع الذي لا يمكن الثبوت عليه من شدة زلقه، والتشديد لـ كثير، معجم البلدان، مصدر سابق ٣: ١٤٦.

٦. لعل مراده وادي الفروق وهو يقع في الجزء الجنوبي الغربي من إقليم الأحساء، انظر: القحطاني، الدكتور حمد محمد، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم الأحساء ١٢٨٨ـ١٣٣١هـ/ ١٨٧١ـ١٩١٣م، ذات السلاسل: الكويت، ط.١٤٣٢, ١هـ ٢٠١٢م: ٣٠.

الثّلـع»، ثـم «الصّليـب»، وعن يمينـك الصّلب؛ صُلـب المِعَـى و«البُرقة»؛[1] بُرقـة الثور.[2] ثـم «الصّـمان»،[3]... ثم ترجع إلى طريـق «زُرَي»،[4] قاصداً إلى اليمامة، فمن عن يسـارك الدبيـب: مـاء يسـمى بالدبيب،[5] وأنـت جائـز بالصحصحان،[6] ومـن عن يمينـك ماء،[7] يقـال له الدّحـرضي،[8] وفيه يقـول عنترة:

شَرِبَـتْ بِـمَاءِ الدُّحْرُضَـيْنِ فَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفِـرُ عَـنْ حِيَـاضِ الدَّيْلَـمِ

---

١. أبـرق: الجبـل أو الحـزم تكسـوه رقعة مـن الرمـال فيتكوّن من ذلـك لونـان يطلق عليه أبـرق وجمعها أبـارق، ويقصـد بذلـك ما لمع من أشـعة الشـمس. الصـّان، مصدر سـابق ١: ١٥٥.

٢. برقـة الثـور: قـال ياقـوت: برقـة الثـور: قـال أبو زيـاد: برقـة الثـور جانب الصـمان، معجـم البلدان، مصـدر سـابق ١: ٣٩٢.

٣. تقـع هضبـة الصـّان في الجـزء الشرقـي مـن الجزيـرة العربيـة بـين درجتـي (٢٤ـ٢٨)، ويبلـغ طولها ٥٠٠كـم، ومتوسـط عرضهـا ١٠٠كم تقريبـاً، وينحدر سـطح الصـّان نحو الشـرق والشـمال قليلاً (بمعـدل ٧ / ١ مـتر في الكيـل الواحـد)، الصـّان، مصدر سـابق ١: ١٥٣.

٤. وهـو لطريـق المعـروف بـدرب القوافـل المسـمى زري قديـماً، ودرب مزاليـج حديثـاً. وهـو كالتالي من اليمامـة إلى الأحسـاء والعكـس صحيـح: يبـدأ مـن الرياض ثـم يمـر بمـورد (أبوجفـان) في العرمة ثم يجتـاز الدهنـاء مـاراً بالمصلييـخ ثم الميسـونية، ثـم الثفنة والبيضـة ثم الصلب ثـم بالمحْنيِّ ثـم ربيداء ثم الشـعب والفـروق ثـم النعلـة والغوار حتـى منهل ويسـة إلى الأحسـاء، الصـّان، مصدر سـابق ١: ١٥١.

٥. الدبدبة: تقع شرقي الصمان وهي بين البصرة واليمامة.

٦. صحصح: جمعها صحاصح، وهي الأرض الواسعة الجرداء المسنوية، الصـّان، م. س.: ١٧٧.

٧. وكلامـه هنـا غـير صحيـح، فقد باعد بـين وسـيع و دحرض حيث وضـع دحـرض في الصحصحان قـرب الصـّان، وهـذا لا يسـتقيم فليـس قـرب الصـّان في طريـق الأحسـاء أي آبار معتـبرة حتى هو نفسـه قـال في موضـع آخر: «وليس بالصـمان ماء عـدّ إلّا ما كان ميـاه العرمة قربها»، راجـع الهمداني، الحسـن بـن أحمـد بن يعقـوب، صفـة جزيرة العـرب، تحقيـق: محمد بـن علي الأكـوع الحـوالي، مكتبة الإرشـاد: صنعاء، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م: ٢٥٢.

٨. مـاء الدحضريـن موردين في العرمـة أحدهمـا اسـمه دحـرض والآخـر اسـمه وسـيع وجمعـا بصيغة دحرضـين، وهـو في غـرب الأحسـاء ناحيـة منطقـة الفـروق ومـا حولها.

ثـم تقطـع بطـن قوّ،[1] ثـم السـمراء،[2] وهـو أرض سـهب،[3] ثم تأخـذ في الدهنـاء،[4] وهي هناك مسـيرة يـوم، وتثني من طريق «زري»، تأخذ على الشـجرة،[5] وهي الشـجرة ذِي الرُمَّة،[6] التـي مـات تحتها،[7] وكتب فيها شـعره، ثـم تخرج مـن الجبال والشـقاق إلى العثاعـث،[8] وهي

١. الصحيح (الدُو): وتسمي الدبدبة تقع شرقي الصمان، وهي بلد لبني تميم، قال ذو الرمة:

حتى نساء تميمٍ وهي نازحةٌ بباحةِ الدُّو فالصّمان فالعقدِ

المصـدر: المـضري، غيـلان بـن عقبة بـن مسـعود العـدوي، ديـوان ذي الرمـة، شرحه وضبـط نصوصه الدكتـور عمـر فـاروق الطبّـاع، دار الأرقم، بـيروت، الطبعـة الأولى١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م: ١٥٣.

٢. لعله إشارة إلى حمراء كون تربة صحراء الدهناء حمراء، وقد عبر عنها هنا بسمراء.

٣. أرض سهب: تعني الأرض مستوية.

٤. صحـراء الدهنـاء: هـي صحـراء رمليـة حمـراء في الجزيـرة العربيـة تمتـد مـن النفـود شـمالاً إلى الربـع الخـالي، وهـي عبـارة عـن شريط رمـلي ضيق يـتراوح عرضه مـا بـين ٤٠ و ٨٠كم، ويمتد على شـكل قـوس مـن الشـمال إلى الجنـوب لمسـافة تزيد عـلى ١٠٠٠ كم بمحـاذاة جبـل طويق. وتصـل صحراء الدهنـاء بـين صحـراء النفـود الكبير في شـمال الجزيـرة وصحـراء الربع الخـالي في جنوبها، كما تشـكل عنـد الكثـير من الجغرافيـين الحد الفاصـل بين إقليمي نجد والأحسـاء، وتتشـكل الدهنـاء من كثبان رمليـة عاليـة تمتد بشـكل طولي وتسـمى «عروقـاً»، راجـع معجم اليمامـة، مصدر سـابق ١: ٤٣٦.

٥. حيـث كانـت وصيـة الشـاعر ذو الرمـة أن يدفـن بديـار بنـي تميـم، عـلى كثبـان حُـزْوَى، وهـي ديار محبوبتـه ميّـة، ديـوان ذي الرمـة، مصدر سـابق: ٥.

٦. ذو الرُمَّـة: هـو غيـلان بـن عقبة بـن نهيس بن مسـعود العـدوي الربابي التميمـي، كنيته أبـو الحارث، وذو الرّمّـة شـاعر عـربي مـن الرباب من تميم، من شـعراء العصر الأمـوي، ومن فحـول الطبقة الثانية في عـصره (٧٧ـ١١٧ هـ) ديوان ذي الرمة، مصدر سـابق:٥ـ١٦.

٧. دفـن في رمـال حـزوى: وتقع رمـال حزوى شـمال شرق مدينـة الرياض بــ: ٢٥٠كيلاً، شـمال مدينة رمـاح ويربـط بـين رمـاح والبلـدان الناشـئة بالصّـمّان خط إسـفلتي يمـر ببلدة شـوية وبلـدة حزوى (العمانيـة) ورمـل حـزوى يحـف بالبلدتـين؛ ويقـع القـبر في أعـلى قمـة مـن رمـال حـزوى مطل على خـبراء (خسـيفة) التي غسـلوه وصلـوا عليه فيها، ثـم حملوه إلى قبره الـذي حفروه في الرمـال وبطنوه بأغصـان الأشـجار والمـدر الطين اليابـس (اللبن) حسـب وصيته.

٨. عثاعث: هي الأرض الرملية، قال ذو الرمة:

تريك وذا غدائر وارداتٍ يصبن عثاعث الحجبات سودُ

ديوان ذي الرمة، مصدر سابق: ١٥٥.

السلاسل وأنت في ذلك تأخذ طريقاً يقال لها الخلّ؛[1] خلّ الرمل فأوّل ماه ترده من العَرْمَة من عن يسارك. قلت هبل، وهي تنكش وتعضب سريعاً،[2] ومن عن يمينك قلات يقال لها النّظيم؛[3] نظيم الجفنة، ومن عن يمين ذلك على ميسرة الشباك،[4] شباك العَرْمَة والغرابات.[5]

ثم تقطع العرمة فترد وَشِيْعاً؛[6] وهو من مياه العرمة،[7] إلّا أنه مفضي في ناحية

---

١. الخَلُّ: هو الطريق النافذُ بين الرَّمال المتراكمة والجمع: أُخُلّ، وخِلالٌ. قال زهير بن أبي سلمى:
ظلت على نيسم (خلٍّ) جازعٍ صعب الصعود صبب المطالع، الصّمّان، مصدر سابق:١٦٩.

٢. ينكش: يزف و يغيض، وتعضب: تنقطع.

٣. النظيم: ما انتظم من أي شيء مثل الخباري أو الأجواء كالجواء النظيم بالصمان، م. س.: ١٩٠.

٤. ينكش: يزف و يغيض، وتعضب: تنقطع.

٥. الغرابات: جمع غرابة: موضع في شعر لبيد وهي أمواه لخزاعة أسفل كلية، وقال الحفصي: الغرابات قرب العرمة من أرض اليمامة، وأنشد الأصمعي:
لمن الدار تعفّى رسمُها بالغرابات فأعلى العرمة
معجم البلدان، مصدر سابق ٤: ١٨٩.

٦. المراد هنا ماء وسيع الذي بالعرمة المذكور سابقاً، وقد يطلع عليه (وشيع) بالشين بدل السين، قال ياقوت: والوشيع: خشبة غليظة توضع على رأس البئر. في نوادر أبي زياد: وسيع، بالسين مهملة، هو ماء لبني الزبرقان قرب اليمامة. وجاء في معجم اليمامة: وما (وشيع) و(وسيع) إلّا منهلاً واحداً في جنوب غرب العرمة الجنوبية، ووادي وسيع ينحدر من ظهر العرمة الجنوبية متجهّا للجنوب الغربي ويصب فوق الروضة (التوضيحية). معجم اليمامة ٢: ٤٤١. معجم البلدان، م.س.٥: ٣٧٨.

٧. ويعني أبو جفان: وهو منهل قديم من مناهل (العرمة) الجنوبية، يرده المسافرون على الإبل بين (الرياض) و(الأحساء)، وهو إلى (الرياض) أقرب وآبار (أبو جفان) تقع على خط العرض ٥٠/ ٣٠/ ٢٤ وخط الطول ٠٢/ ٤٣/ ٤٧ وعدد آباره الظاهرة الآن أربع وعشرون بئراً أشهرها تسمى (القموص) . ويبعد (أبو جفان) عن (الرياض) مئة كيل جهة الشرق. ويبدو أن (أبو جفان) يحمل هذا الاسم منذ القدم، فقد يبدأ المتقدمون بعض أسماء الأماكن بـ لمة (أبو) أو (أم) مثل قولهم (أم أوعال) (٢٢٧) وأن سبب سميته بهذا الاسم وجود قلات تنتظم أسفل الوادي قبل انحداره مع منحدر جبال (العرمة)، وهذه القلات مدورة الشكل منها واحدة فوهتها مستديرة كالجفنة (القصعة) والعرب يسمون القلات المتقاربة المتتابعة في المجرى المائي النظيم.

القاع،[1] وفيه يقول الرّاجز:

كأنها إنّ وردت وشيعاً خيطان نبع كتمت صدوعا

ثم تسير في السّهبَاء،[2] ثم تقطع جبيلاً قريباً يقال له أنقد،[3] ثم الروضة.[4]

ثم ترد الخضرمة؛[5] جوّ الخضارم مدينة وقرى وسوق، فيها بنو الأخيضر بـ يوسف، وهي دار بني عدّي بن حنيفة، ودار بني عامر بن حنيفة، ودار عجل بن لجيم، و ديار هوذة بن على السّحيمي الحنفي، وهي أول اليمامة من قصد البحرين».[6]

١. القاع: هو ما انبسط من الأرض الحرة السهلة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها، وهي مستوبة ليس فيها تطامن ولا ارتفاع، والمقصود هنا في ناحية العرمة. معجم البلدان، م.س. ٤: ٢٩٨.

٢. معنى سهب: السَّهْبُ: الفَلَاةُ جمعه سهب وقال الفَضْلُ بنُ العَبَّاس اللَّهَبِيُّ:

ونَحْلُلْ م تِهَامَةَ كُلَّ سَهْبٍ نَقِيِّ التُّرْبِ أَوْدِيَةً رِحَابا

ويقول صاحب بن خميس في المعجم: السهباء بلاد لحنيفة، وهي منطقة واسعة في الخرج وروضة من أكبر رياض (اليمامة)، هي منخرق وادي حنيفة، مدفع سيوله يكبر سيله احياناً ويعظم، ثم ينتهي بهذا المنخرق فيتبدد ويضيع. والسهباء على مقربة من (الخِضرمة) قصبة اليمامة، وقاعدتها الحضارية الأولى أيام بني حنيفة، وأيام بني الأخيضر، معجم اليمامة، مصدر سابق ٢: ٣٩.

٣. وتطلق عادة مع كلمة برقة فيقال (برقة أنقد)، قال ياقوت: قال الحفصي: أنقد جبل باليمامة. معجم البلدان ١: ٣٩١.

٤. الروضة: بلدة أكبر وأشهر بلدان سدير وأقدمها، أعلى بلدة في وادي (الفقي)، ما عدا قرية صغيرة تدعى (المَعْشَبَة)، فالروضة أول بلدة تستقبل سيل هذا الوادي. معجم اليمامة، م.س. ١: ٤٨٥.

٥. قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم: «خضرمة»: موضع مذكور في رسم اللهابة، ورسم الغورة. وقال الأصمعي: الخضرمات: ركايا باليمامة، وأنشد للعجّاج:

إذْ حسبوا أنّ الجهاد والظّفرْ إيضاع بين الخضرمات وهجرْ

وقال الصّوليّ: خضرمة: قرية باليمامة، وتقع (الخضرمة) في جو أسفل وادي الخرج في الموضع الذي تقوم فيه بلدة (اليمامة) في العهد الحاضر، أو قريب من ذلك الموضع. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مصدر سابق ٢: ٥٠١؛ معجم اليمامة، مصدر سابق ١: ٣٨٨.

٦. صفة جزيرة العرب، مصدر سابق: ١٣٨.

وفي هذا الموجز حول طريق الحاجّ أشار إليه عدّة نقاط مهمّة جديرة بالإشارة:

* إنّ المصطلحات المستخدمة قديماً تختلف عنها المستخدمة اليوم، لذا يصعب فهم الكثير من المسميات القديمة نتيجة لتغير اسمها مع مرور الزمن.

* نلحظ الدقة لدى القدماء وأبناء الصحراء في تسمية أجزاء الصحراء وأبعادها يمنة ويسرى، بحيث يسير العارف بها ويعلم بكلّ جزء منها مما يجعله عارفاً بميزات كلّ جزء فيها و يفرقه عن غيره، وهو ما يطلق عليه (منازل)، وله عدد معين معروف بينهم، وهي بمثابة مسافات يعرفون من خلالها كم مضى من الطريق وكم بقي منه؟

* وجود عدد من الآبار ومنابع المياه طوال الطريق قام البداة والولاة ورجال الخير بحفرها لينتفع بها روّاد هذه الطرق يعرفون مواقعها وله مسميات خاصة بها تميزها عن غيرها، إضافة إلى مواقع زراعية وأماكن مرعى تساعد على تغذية الإبل والرواحل في طريق الحجّ ومسير القوافل.

* معظم الأراضي التي في طريق الحاج تسيطر عليها مجموعة من القبائل تعدّ هذه الصحاري مسكنها ومعروفة بها منذ مئات السنين بينها و بين القبائل المجاورة تحالفات و معاهدات بعدم التعدي على المساحات التابعة لها.

* بعض المواقع ارتبطت بأحداث تاريخية سواء معارك أو قبور أو غيرها مما يجعلها معروفة بين أرباب البادية، كما يوجد أسواق ومراكز يجتمع فيها أهل البادية، وتاريخها ربما يعود إلى العصر الجاهلي، وقد ذكر بعضها، وهي مما تستفيد منه القوافل في طريقها بحيث تتزود بالمؤمن ولوازم السفر.

* ولعلّ المشكلة في الوصف الجغرافي لبعض المعالم، عدم تطابق معاني بعض المصطلحات المستخدمة في القرن الثالث الهجري مع المصطلحات الحديثة أو المتأخرة، نتيجة لاستخدام أسماء جديدة أصبحت غير مألوفة في القرون المتأخرة؛ لذا نجد اضطراب في شرح بعض المسميات مما أدخلنا في احتمالات قد يكون بعضها خاطئاً.

المرحلة الثانية: من اليمامة لى ضريّة:

اُختلف في سبب تسمية (ضرية) إلى أقوال عديدة، منها:

نسبة إلى ضِريّة بنت ربيعة بن نزال بن معد بن عدنان، وربما سميت ضِريّة نسبة لبئرها.

وضِريّة من المناطق القديمة، وهي من أشهر المناطق التي على طريق حجّاج البصرة والبحرين قديماً ففيها ملتقى طرق التجارة والحج.

ونبعت أهميتها لسببين:

* **الأول**: كونها أصبحت مركزاً للحمى الذي حماه عمر بن الخطاب لإبل الصدقة وأصبح يعرف باسمها، فيقال: حمـ ضِريّة.

* **الثاني**: كونها من أهمّ محطّات طريق الحاجّ البصري إلى مكة المكرمة.[1]

وضريه من المناطق الغنية بالمياه والخيرات، وهي قرية عظيمة غنّاء يطؤها الطريق، فيها بنو عامر والنجار، وعامتها لآل جعفر بن سليمان.

وتعّد صقعاً واسعاً بنجد ينسب إليه الحمى يليه أمراء المدينة وينزل به حاجّ البصره بين الجديلة وطخفة، بينما ذهب البعض بأنها قريه لبني كلاب على طريق البصرة وهي إلى مكة أقرب.[2]

وهي المرحلة التي أشار إليها ابن رستة بأنه ملتقى حاجّ البصرة والبحرين، وتكمن أهمية هذه الإشارة – وإن كان أوجز في كلامه – إنّ طريق حاجّ البحرين في المنازل والمراحل بين مكة وضِريّة هي نفس مراحل ومنازل طريق حاجّ البصرة، وهو بهذا أعطانا مفتاحاً مهماً لبقية الطريق لحاجّ البحرين.

---

١. العبودي، محمد بن ناصر، معجم بلاد القصيم، [د.ن]، الطبعة الثانية١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ٤/ ١٤٠٦.

٢. معجم البلدان، مصدر سابق ٣: ٤٥٧.

فطريق حاجّ البصرة كانت هناك عناية خاصّة به وإشارات كثيرة إليه في جميع مراحله لأنه سار عليه العديد من الخلفاء خلال الدولة الأموية والعباسية وكبار الشخصيات العلمّية والتاريخية، لذا كان إكمال الحلقة سهل بهذه الإشارة الهامة.

يقول ابن رستة (ت نحو ٣٠٠هـ)،[١] في بيان الطريق من البحرين إلى مكة في (الأعلاق النفيسة): «تخرج إلى اليمامة ومن اليمامة إلى الضريَّة،[٢] ومن الضّريَّة إلى مكة، والضّريَّة ملتقى حاجّ البصرة والبحرين، هناك يفترقون إذا انصرفوا من الحجّ، يأخذ حجّاج البصرة ذات الشمال، وحجّاج البحرين ذات اليمين».[٣]

ومن خلال هذا التعريف وما ذكره الجغرافيون عن ضرية، وما ذكره ابن رسته بأنها ملتقى الحاجّ، ندرك أهمية هذه البلدة وذلك لعدة أمور:

* وجود عدّة قبائل في محيطها: وهذا يعني وجود سوق مفتوح ومكان للتموّل والتزوّد، وأخذ الحاجيات الضرورية لمواصلة السفر وإكمال الطريق.

* توفّر الماء: فقد ضمّت المنطقة بئر ماء حتى قيل إنه سميت باسمه، وهو من أهمّ مستهدفات المسافرين للتزوّد بالماء وسقي الرواحل.

* وفرة المزارع والغطاء النباتي فيها: تعد «ضرية» من الأراضي الغنيّة بالمياه والأشجار والخيرات، حيث وصفها الرحالة «وهي قرية عظيمة غنّاء يطؤها الطريق».[٤]

---

١. أحمد بن عمر، أبو على ابن رسته (ت نحو ٣٠٠هـ/ نحو ٩١٢م) هو جغرافي فارسي، من أهل إصفهان. حجّ سنة ٢٩٠هـ وصنف كتاب «الأعلاق النفيسة»، وصف بها الكثير من المدن والبلاد؛ الكتاب يقع في سبعة أجزاء، لكن لم يصلنا منه إلّا الجزء الأخير.

٢. تقع منطقة ضرية بمنطقة القصيم، وهي تبعد عن الرس ١٥٠كم، وتبعد عن عفيف ٩٠كم، وعن الدوادمي ١٩٠كم.

٣. ابن رسته، أبو على أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل: مدينة ليدن، الطبعة الأولى: ١٨٩١م: ١٨٢.

٤. معجم البلدان، مصدر سابق ٣: ٤٥٧.

المرحلة الثالثة: من ضريّة إلى مكة:

بعد الإشارة المهمة التي قالها ابن رستة أصبح باقي الطريق لحاجّ البحرين في القرن الثالث الهجري واضحاً وجليّاً، وأبرز من أشار لطريق حاجّ البصرة من ضرية إلى مكة لمكرّمة والذي هو نفسه طريق حاجّ البحرين هو «ابن خرداذبه».

وهذه المرحلة تتكوّن من عشر منازل، بعدها الوصول إلى مكة المكرمة التي هي الغاية والهدف ونهاية الطريق:

يقول ابن خرداذبه،[1] في (المسالك والممالك) عن طريق حاجّ البصرة:

* «ثم إلى ضرية»:

وقد سبق الحديث عنها والتعريف بها.

* «ثم إلى جُديلة»:

وجُديلة: مكان في طريق حاج البصرة، وهي من مياه بني وبر بن الأضبط بن كلاب. وجديلة: منهل من مناهل حاجّ البصرة،[2] وأبرقا حجر: جبلان على طريق حاجّ البصرة بين جديلة وفلجة.[3]

* «ثم إلى فَلْجَة»:

منطقة على طريق الحاجّ يوجد بها بئر ماء وهي لبني العنبر،[4] وتعدّ «فَلْجَة» منزل

---

١. أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبه (نحو ٢٠٥ـ نحو ٢٨٠ هـ) مؤرخ وجغرافي اشتهر بـ تابه الجغرافي كتاب المسالك والممالك، الذي وصف فيه المسافات بين البلدان وقد عمل في خدمة الخليفة العباسي المأمون.

٢. معجم البلدان، مصدر سابق ٢: ١١٥.

٣. م. ن. ٢: ٢٢٣.

٤. م. ن. ٤: ٤٢.

على طريق مكة من البصرة بعد أبرقي حجر وهو لبني البكاء، وموقعها بالتحديد في طريق البصره بعد الزجيج، عرفت بمائها المالح.[1]

*** «ثم إلى الدثينة (الدفينة)»:**

الدَثِينة والدفينة منزل لبني سليم، بعد فلجة من البصرة إلى مكة، ثم وجرة ثم نخلة ثم بستان ابن عامر ثم مكة.

كما أنَّ (الدثينة) ماء لبني سيار بن عمرو، كانت تسمى في الجاهلية (الدفينة) فتطيروا منها فسموها (الدثينة).[2]

*** «ثم إلى قبا»:**

قرية قباء أحد أحياء المدينة المنورة تقع جنوبي المدينة. يجري فيها وادي رانوناء، كانت من قبل قرية مستقلة على طريق القوافل القادمة من مكة ثم امتد العمران إليها فاتصلت ببقية أنحاء المدينة، ويروى أنها سميت قباء ببئر كانت بها يقال لها قبار، فتطير الناس منها فسموها قباء. تتميز قباء بكثرة المياه الجوفية، وقربها، وخصوبة تربتها لذا تكثر فيها مزارع النخيل، والعنب، والبساتين.[3]

*** «ثم إلى مران»:**

على بعد أربع مراحل من مكة إلى البصرة، بينها وبين مكة ثمانية عشر ميلاً، وفيه قبر تميم ابن مر وقبر عمرو بن عبيد، وهي بين البصرة ومكة لبني هلال من بني عامر، وتعدّ قرية غناء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع وهي على

١. معجم البلدان، مصدر سابق ٤: ٢٧٢.

٢. م. ن. ٢: ٤٤٠.

٣. م. ن. ٤: ٣٠٢.

طريق البصرة لبني هلال وجزء لبني ماعز وبها حصن ومنبر، ويسكنها أناس كثيرون.[1]

*** «ثم إلى وجرة»:**

وَجْرَة: منطقة تاريخية، تعرف اليوم بـ: (قصر الخرابة)، بين مكة والبصره، بينها وبين مكة نحو أربعين ميلاً، ليس فيها منزل، فهي مربى للوحوش، ووجرة (البركة)، والسي (منطقة ركبة): مواضع قرب ذات عرق ببلاد سليم.

وهي على طرق الحاجّ من البصرة إلى مكة بإزاء «الغمر» المعروفة اليوم بـ: (بركة العقيق، البركة، بركة زبيدة) والتي تعدّ من منازل طريق الحاجّ الكوفي، منها يحرم أكثر الحاجّ وهي سرة نجد ستون ميلاً، لا تخلو من شجر ومرعى ومياه، يكثر فيها الوحوش.

وتعدّ من منازل الطريق لأهل البصره إلى مكة، بينها وبين مكة مرحلتان، ومنه إلى بستان ابن عامر ثم إلى مكة.[2]

*** «ثم إلى أوطاس»:**

وأوطاس: وتعرف اليوم بـ: (أم خرمان)، واد في ديار هوازن فيه كانت واقعة حنين للنبي صلى الله عليه وآله، مع بني هوازن. الغور من ذات عرق إلى أوطاس، وأوطاس على نفس الطريق، ونجد من حد أوطاس إلى القريتين.[3]

كما أنَّ أوطاس اسم يطلق على الصحراء الواقعة شمال شرقي عشيرة، على صفة

---

١. معجم البلدان، مصدر سابق ٥: ٩٥.

٢. م. ن. ٥: ٣٦٢.

٣. م. ن. ١: ٢٨١.

العقيـق (عقيـق عشـيرة) من الـشرق إلى قـرب بركه زبيـدة، يقع بسـيان بطرفهـا الجنوبي، بهـا قصـور، وأبيـات، وحوانيـت، وبركـة، وثـم مسـجد يقـال لـه مسـجد عائشـة، بنـاه عبدالصمـد بـن علي.[1]

*** «ثم إلى ذات عرق»:**

ذات عـرق وتسـمي اليوم بـــ: (الضَّريبة) مكان بالبادية قرب عقيق الطائف، سُـمِّي بذلك لعـرقٍ فيـه والعـرق هـو الجبـل، ويقولـون إنـه منتهـى جبـال تهامـة يفصل بـين جبـال تهامة ونجـد، وهو ميقات أهـل العراق، وأهل المـشرق قاطبة، ويبعد عن مكـة بمرحلتيْن ونصف، بـما يعـادل مسـافة ٩٢ كـم عن مكة شـمالاً، أما عـن «أوطاس» فهو على مسـافة عـشرة أميال.

وهـي وادٍ تحـدّه مـن الـشرق والغـرب سلسـلة مـن الجبـال الضخمـة والـذي تتميـز الأحجـر المكونـة لـه بأنها ذات لـونٍ أسـود ممزوج باللـون الأحمـر، وهذه الجبـال متصلة بجبـال الحـرّة الشـهيرة التـي تحـد وادي العقيـق الشـهير من جهـة الغرب.

وذات عـرق مـن الغـور، والغـور مـن ذات عـرق إلى أوطـاس، وأوطـاس عـلى نفس الطريـق، ونجـد مـن أوطـاس إلى القريتين.[2]

وتعـد (الضَّريبـة) أحـد روافـد مـرّ الظهـران الكبـير الدائمـة الجريـان، يسـيل وادي الضريبـة مـن جبلي ارثامـة ومسـولا، وأعلاه الشرافـة، قـراره أرض مرتفعة يسـيل ماؤها الغـربي الضَّريبـة والشرقـي في سـلحة فعقيق عُشـير.

ويقـع ميقـات أهل العـراق والقصيـم (ذات عرق) في الضَّـــريبة حيـث يقطعها درب المُنَقَّـي، فيهـا ميـاه وفيرة، ولهـا روافد متعـددة منها: نجل والرصـن، والصُّبَـير، والمحفار،

---

١. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ١: ١٤٥.

٢. معجم البلدان، مصدر سابق ٤: ١٠٨.

ونجـار معاء.[1]

*** «ثم إلى بستان ابن عامر»:**

«بسـتان ابـن عامـر» عند مكـة، ويقـال له: بسـتان ابـن معمر، وهـو مجتمـع النخلتين اليمانيـة والشـامية. بينـما يـرى بعضهـم العكس، بسـتان ابن عامـر بنخلة، هو عبـد الله بن عامـر بـن كريـز بـن ربيعة. وغـير صحيح: بسـتان ابـن معمـر؛ وإنه قـول العامـة. و ورد أيضـاً بسـتان ابـن عامـر لعمـر بن عبـد الله بـن معمـر بن عثـمان بن عمـرو بـن كعب بن سـعد بـن تميم بـن مرة بن كعـب بن لـؤي، ولكن النـاس غلطوا فيـه، فقالوا: بسـتان ابن عامـر، وبسـتان بنـي عامـر، وإنما هـو بسـتان ابن معمـر، نسـب إلى ابن عامـر الحضرمي، وآخـرون يقولـون: نسـب إلى ابـن عامر بـن كريز.[2]

بينـما يذهـب البعـض إلى كونهـما بسـتانيْن مختلفيْن، فبسـتان ابـن معمر غير بسـتان ابن عامـر وليـس أحدهمـا الآخر، فأما بسـتان ابـن معمر فهو الـذي يعرف ببطن نخلـة، وابن معمـر هـو عمـر بن عبيـد الله بن معمـر التيمـي، وأما بسـتان ابـن عامر فهـو موضع آخر قريـب مـن الجحفـة، وابن عامر هـذا هو عبـد الله بن عامر بـن كريز، اسـتعمله عثمان على البـصرة، وكان لا يعالـج أرضاً إلّا حفر فيهـا الماء.[3]

* «ثـم إلى مكـة»:[4] و هـي نهاية الرحلة إلى الديار المقدسـة، حيث يتم القيام بالمناسـك وأداء فريضة الحج.

---

١. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ٥: ١٠٣٥.

٢. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق ١٤: ٣١.

٣. معجم البلدان، مصدر سابق ١: ٤١٤.

٤. المسـالك والممالـك، أبـو القاسـم عبيد الله بن عبـد الله بن خرداذبـه، مطبعة بريل: مدينة ليـدن، الطبعة الأولى ١٨٨١م: ١٤٦ـ١٤٧.

طريق آخر:

ذكـر ابـن خرداذبـه طريقـاً آخـر مـن اليمامـة إلى مكـة لا يمر عـلى ضرية، حيـث قال: «فمـن عدل مـن النّبـاج، فـإلى النّقرة».

الطريق من اليمامة إلى مكّة من اليمامة إلى:

* العِـرض (العـارض)، أو هامـة تدعـو الصّـدى بـين المشـقّر واليمامة: العِـرْض: هو الجبـل الممتـد عَرضـاً في وسـط الجزيرة، ويعـرف بهذا الاسـم في الوقت الحـاضر، وبجبل (طُوَيـق) لبطويقـه جزءاً مـن بلاد المنطقـة الوسـطى في الجزيرة.[1]

* «ثـم إلى الحديقـة»: قـد يكـون مـراده منطقـةً زراعيـة له اسـم خـاص، وقـد عرّفها بالحديقـه، ممـا فـوّت علينـا تحديـد مكانها.

*«ثـم إلى السّـيح»: مـن قـرى الزلفـي: وتقـع مدينـة الزلفـي في إقليم نجـد في أقصى شـمال منطقـة الرياض عـلى الحدود القصيميـة الشرقية، وتبعـد عن مدينة الرياض مسـافة ٢٦٠كـم تقريبـاً شـمالاً، وهـي مدينـة عامرة كبـيرة ذات أسـواق تجاريـة ونخيـل ومزارع و ذات أحيـاء متباعـدة تقريباً.[2]

* «ثـم إلى الثّنيّـة»: تقـع الثنيـة في جبـل العـارض الذي تخترقـه فجاج واسـعة، منها ينفـذ إلى الأوديـة التي في جوفه، ومن أشـهر تلك الفجـاج (الأحَيْسـي)، وفي أعلى هذا الفـج عقبـة، و تلك تسـمى (ثنيـة الأحَيْسـي)، ومنهـا ينفـذ إلى (العِرض) وهـو وادي حنيفة.[3]

---

١. الدرعيـة قاعـدة الدولـة السـعودية الأولى، محمـد الفهـد العيسـى، مكتبـة العبيـكان، الطبعـة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م: ١٣.

٢. معجم اليمامة، مصدر سابق: ٥٢٩.

٣. الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: ٢٣.

* «ثم إلى سقيراء»: ويعني (شقراء): تقع على بُعد حوالي ١٨٥كم شمال غرب الرياض. وهي قاعدة الوشم وكانت شقراء نقطه توقف رئيسة على طريق الرياض/ الطائف للحجّاج. وتعدّ أكبر مدن الوشم من حيث التجميع السكاني والوشم معدود من أرض اليمامة.

* «ثم إلى السّدّ»: ولعلّ مراده (روضة سدير): تقع هذه الروضة في إقليم سدير الواقع في الجهة الوسطى من الجزيرة العربية وهي تابعة مدينة الرياض، وتبعد حوالي ١٦٠كم.

* «ثم إلى صداة»: لم نتمكن من التعرّف على مقصوده، ربما تغير أسمها مع مرور الزمن.

* «ثم إلى شريفة»: المراد غير معروف و لم أجد من المناطق ما يسمى بهذا الاسم.

* «ثم إلى القريتين»: من طريق البصرة.

* «ثم إلى المنازل التي قد مرّ ذكرها إلى مكّة».[1]

الطريق الثاني، في: «مختصر الجغرافيا الكبير»

وهو طريق كان يسير عليه الحاج الأحسائي خلال القرن الحادي عشر، ولعلّ سار عليه قبل هذا الزمن بعدّة قرون، ذكره أبوبكر الدمشقي،[2] في كتابه: «جزيرة العرب

١. المسالك والممالك، مصدر سابق: ١٤٧.

٢. أبو بكر بن بهرام الحنفي الدمشقي (ت١١٠٢هـ)، جغرافي عثماني. ولد في دمشق ونشأ فيها ثم رحل إلى إسطنبول وأكمل دراسته هناك، وأتقن كثيراً من العلوم والفنون وتميز في الرياضيات بشكل خاص، وترقى في الدرجات العلمية. واتصل بالوزراء وكان مقرباً من الصدر الأعظم الوزير أحمد باشا الكبرلي المعروف بالفاضل، ثم تولى القضاء في حلب، وكان مشهوراً بفضله وعلمه، ألف أبوبكر للسلطان محمد الرابع مصنفاً ضخماً باللغة التركية بعنوان: «جغرافياي كبير» ويقع في ستة أجزاء وله موجز يقع في جزئين، ويعتقد بعض الباحثين أن لهذا الكتاب عنواناً أخر باللغة العربية هو: «نصرة الإسلام والسرور في تحرير أطلس مينور».

في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير»، وعدّد فيه منازل الطريق التي يتوقف عندها الحاجّ. نذكرها مع بعض التعريف بها من خلال المصادر التي تتناول جغرافيا المنطقة. علماً أنّ هذا الطريق يؤخذ عليه عدّة ملاحظات، لعلّ من أهمها:

* إنَّ المصنّف لم يعرّف بالمناطق والنُّزل، ولم يذكر بعض معالمها، وإنما اكتفى بذكر أسمائها من خلال ما سمعه ممن سار على الطريق.

* إنَّ المصنّف وقع في أخطاءٍ كثيرة في مسميات المنازل المذكورة، ولعلّ مرجع ذلك عدم معرفته الدقيقة بالمنطقة، واختلاف اللهجات مما يجعل تعبيره عنها بلهجته قد يغيّر المسّمى، كما أنَّ الكتاب كتب في الأساس باللغة التركية فترجمة المسميات من العربية إلى التركية قد يودّي إلى تحريف في اللفظة أو تصحيفها بسبب اختلاف النطق كما هو معروف، ثم ترجمتها إلى العربية مرّة أخرى، مما ساهم في حدوث خلطٍ آخر، جعل الأسماء غير دقيقة في الكتاب.

* وكون المصنّف ذكر طريق حاجّ الأحساء هو إشارة إلى أنّ الطريق كان معروفاً ومشهوراً في تلك الحقبة، وكان يسـ ه الحجّاج القادمون إلى الحجاز من جهة المشرق، ولهذا أشار إليه ضمن طرق الحاجّ المعروفة في عصره.

طريق الحاجّ الأحسائي:

ويعتبر ما ذكره الدمشقي أبو بكر بن بهرام الدمشقي (ت١١٠٢هـ) من أقدم المصادر التي وصلتنا وذكر فيها منازل رحلة الحاجّ الأحسائي وطريق سيره من الأحساء إلى الديار المقدسة، وقد ذكر منازل الحاجّ من الأحساء إلى مكة المكرمة عبر المناطق التالية:

«من الأحساء، إلى جودة، ثم إلى ضان، ثم إلى الدهناء، وهناك دحل مي (رمل الدحى)، ثم منه إلى (جبل أبي عرفة)، ثم إلى ملهم، ثم إلى الجفر، ثم إلى الربض

(العِـرض)، ثـم إلى الدرعية، ثم إلى الحيسـية، ثم إلى مراة، ثم إلى الشـعراء، ثـم إلى الحنابج، ومنهـا إلى المرقـب، ثم إلى المنخنا (المنحنى)، ثـم إلى العبلة، ثم إلى ركبة، ثـم إلى ذات عرق، ثـم إلى مكـة المكرمة».[1]

فقـد ذكـر سـبعة عـشر منـزلاً في الطريـق إلى مكـة المكرمـة يعـبر مـن خلالهـا الحـاجّ الأحسـائي، لتكـون محطتـه بعدهـا مكـة المكرمـة.

وهـو هنـا كما ذكرنا سـابقاً قـد أوجز وذكـر المناطق الرئيسـية فقط التي يسـلكها الحاجّ دون الإشـارة إلى تفاصيـ المكان والمسـافة بين منـزلٍ وآخر، لذا سـنحاول التعريف بها:

*** «من الأحساء إلى جودة»:**

جُـودة: ويسـميها البعـض (حمـراء جـودة) منطقـة غنيـة بالخـيرات، تعـدّ من أحسـن مراتـع الباديـة وأخصبهـا، فيهـا حقـول زراعيـة، معظـم عمـل أهلهـا الزراعـة والرعي، وأرضها رملية مسـتوية يسـكنها بعـض البدو يوجد بالقـرب منها (جبل الجـودي)، وهي تقـع غـربي مدينـة الهفـوف على بعـد يصـل إلى (١١٢) كـم، باتجـاه مدينـة الرياض.

قال ياقوت الحموي: هي في بلاد بني تميم قال عبدة بن الطيب:

لـولا يجـودة والحـي الذيـن بهـا أمسـى المزالـف لا تذكـو بهـا نـارُ

وقال جرير:

فأنْـتَ عـلى يَجُـودَةَ مُسْـتَذَلّ وفِي الحـيَّ الذيـنَ عـلا لهابـا

يقـول العبيـد في «الموسـوعة الجغرافيـة لشرقـي البـلاد العربيـة السـعودية»: «لا يزال هـذا الموضـع معروفـاً، ويقع في الشـمال الغـربي من المنطقـة وإلى الغرب من عـين دار. وفي

١. الدمشـقي، أبي بكـر بـن بهـرام، جزيـرة العـرب في كتـاب مختصـر الجغرافيـا الكبـير، تحقيق: مسـعد سـويلم الشـامان، مركـز حمـد الجـاسر، الريـاض، الطبعـة الأولى ١٤٢٨هـ، ٣٩٨ـ٤٠٠.

المصـادر القديمة يسـمى أحيانـاً: (يجـودة) بالياء».[1]

* «ثـم عـلى ضـان»: وهنـا لعـل المقصـود (الصّـمّان) بحسـب المعلـق عـلى كتـاب الدمشـقي،[2] واعتـماداً عـلى الكثـير مـن المصـادر المشـيرة لوقوعهـا عـلى طريـق الحـاجّ الأحسـائي.

قـال الزبيـدي في تـاج العـروس: «الصَّـمَّانُ: كلّ أرض صلبـة غليظة ذات حجـارة إلى جنـب رمـل، كالصَّمَّانَةِ، سـميت لصلابته وشـدتها».[3]

فمـن أراد مكـة عـن طر المنكـدر توجّه نحـو القبلـة وأخذ الصّـمّان، والصّـمّان على ضفـة فلـج إلى الرمل، والـدّوّ من ناية، وسـكنها بنو سـعد وأخلاط تميم، يتراعـون جميعاً، وإذا أجدبـت قيـس صارت إليـه، وهو «طريـق اليمامة».[4]

وكانـت الصّـمّان في قديـم الدهر لبنـي حنظلة والحـزن لبني يربـوع، والصّـمّان متآخم للدهناء».[5]

تخـرج مـن البـصرة، فتسـير إلى كاظمة ثلاثـاً، وهي طريـ المنكـدر، لمـن أراد مكّة من المنكـدر. ثـم تسـير إلى الـدّوّ ثلاثـاً، ثـم تسـير إلى الصّـمّان ثلاثـاً، ثـم إلى الدّهنـاء ثلاثـاً،

---

١. العبيـد، عبـد الرحمـن بـن عبد الكريـم، الموسـوعة الجغرافية لشرقـي البـلاد العربية السـعودية، نادي المنطقـة الشرقيـة الأدبي: الدمام، الطبعـة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ١: ٢٦٤.

٢. جزيره العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق، الهامش: ٢٩٨.

٣. الزبيـدي، محمّـد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسـيني، الملقّب بمرتضـى (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس مـن جواهر القاموس، دار الفكر: بـيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٧: ٤١٧.

٤. كتـاب المناسـك وأماكـن طـرق الحـاجّ ومعـالم الجزيـرة: لأبي إسـحاق إبراهيـم الحـربي، تحقيـق: حمد الجـاسر، دار اليمامـة، الريـاض، الطبعـة الأولى١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م: ٥٧٣.

٥. القطيعـي، عبـد المؤمـن بـن عبـد الحـق، ابـن شـمائل (ت: ٧٣٩هـ)، مراصـد الاطـلاع عـلى أسـماء الأمكنـة والبقـاع، دار الجيـل: بـيروت، الطبعـة الأولى١٤١٢هـ ٢: ٨٥١، معجـم البلـدان، مصدر سـابق ٣: ٤٢٣.

والصّـمّان: «جبل أحمـر ينقاد ثلاث ليال، ليس له ارتفاع، وإنّما سـمّي الصّـمّان لصلابته».[1]

كـما تعـدّ هضبـة مرتفعـة شرقـي الدهنـاء تمتدّ شـمالاً حتـى تتصـل بالدبدبـة والقرعة (القرعـاء)، وتشـتهر بدحولهـا التـي تعتبر مخـازن للمياه، وهي في الشـمال أعـرض منها في الوسـط والجنـوب، ويختلف عرضها من ٥٠ـ٩٠ ميلاً، ومتوسـط ارتفاعهـا ١٢٥٠ قدماً، وطبيعـة أرضهـا مختلفـة فهـي مـن الحجـر الرمـلي، وفيها أحجـار كلسـية، وفيها سـهول تنحـدر إلى الشرق.

ومياه الصّـمّان التي تشمل اللهابة واللصافة ووبرة، تسمى قديماً: وادي الشواجن.[2]

قال ابن المقرب العيوني:

فَـما حَلَّ عَقـدَ السَـيفِ حتـى أَناخَها ... ضُحـىً بِعِـذارِ الخَـطِّ حَدبـاءَ ناجِـلا

أَلَم يَأتِ مِن أَرض(الشَـواجِنِ)يَختَطي ... حَـــ ابِيَّ أَجـوَازِ الفَـلا وَالخِـمائِلا

وقـد ارتبطـت صحراء الصّـمّان منذ القـدم إقليميًّا بمنطقة الأحسـاء، وهي تخضـع دائماً لحاكم منطقة الأحسـاء وذلك لقرب المنطقتين من بعضهما، وحاجة قبائل وحاكم الأحسـاء إلى مناطـق خصبـة لرعـي الخيل والإبـل والمواشي، وهـذا ما تمتاز بـه صحراء الصّـمّان، وقد قيـل لابنـة الخسّ: أي البـلاد أمرأ؟ فقال: «خياشـيم الحزن وأجـواء الصّـمّان».[3]

* «ثم إلى الدهناء، وهناك دحل مي»:

ويعنـي ثـم إلى صحـراء الدهنـاء: وحـدوده الدهناء عبارة عـن صحراء رمليـة متخذة شـكل القوس الـذي يمتد نحو ١٢٠٠ كم من جنـوب شرق النفوذ إلى شـمال الربع الخالي،

---

١. البكـري، عبـد الله بـن عبـد العزيـز الأندلـسي (ت٤٨٧هـ)، معجـم ما اسـتعجم مـن أسـماء البلاد والمواضـع، تحقيـق: مصطفـى السـقا، عـالم الكتـب: بـيروت، الطبعـة الثالثة١٤٠٣هـ، ٤: ١١٠٩.

٢. الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، مصدر سابق ٢: ٨٤.

٣. الصّـمّان، مصدر سابق ١: ٢٧.

ويطلق مسمى الرميلة على نهايتها الجنوبية، وهو إسم محلي يعني قرب اندماج رمال الدهناء برمال الربع الخالي، وعرض الدهناء يختلف من مكان لأخر فمتوسط عرضها شمال وادي الباطن هو ٢٠م، وأمام وادي الباطن ترتبط الدهناء مع نفوذ المظهور ونفوذ الثويرات عبر عروق السياريات، والسبب في تراكم الرمال في هذه المنطقة أنها تقع إلى الشرق من مجرى وادي الرمة القديم، وإلى الشرق من خط طول ٤٥ شرقاً تنقسم الدهناء إلى قسمين، وتسمى المنطقة الفاصلة بالجندلية التي تعتبر أرض فياض وآبار.

وهي سبعة أجبل من الرمل في عرضها، بين كلّ جبلين شقيقة، وطولها من حزن ينسوعة إلى رمل يبرين، وهي من أكثر بلاد الله كلاً مع قلة أغذاء ومياه، وإذا أخصبت الدهناء ربّعت العرب جمعاً لسعتها وكثرة شجرها، وهي عذاة مكرمة نزهة، من سكنها لا يعرف الحمّى لطيب تربتها وهوائها، وهو منزل بطريق مكة من البصرة، صبحت به أقماع الدهناء من جانبه الأيسر واتصلت أقماعها بعجمتها وتفرّعت جبالها من عجمتها، وقد جعلوا رمل الدهناء بمنزلة بعير وجعلوا أقماعها التي شخصت من عجمتها نحو الينسوعة ثفناً كثفن البعير، وهي خمسة أجبل على عدد الثفنات: فالجبل الأعلى منها الأدنى إلى حفر بني سعد، واسمه خشاخش لكثرة ما يسمع من خشخشة أموالهم فيه، والجبل الثاني يسمى حماطان، والثالث جبل الرمث، والرابع معبر، والخامس جبل حزوى.[1]

وعرّفها البكري الأندلسي قائلاً: «الدهناء: رمال في طريق اليمامة إلى مكة، لا يعرف طولها، وأمّا عرضها فثلاث ليال، وهي على أربعة أميال من هجر، ويقال في المثل: أوسع من الدهناء. وقد ذكرت الدهناء في رسم عالج، وفي رسم كاظمة، وعلم الدهناء».[2]

---

١. معجم البلدان، مصدر سابق ٢: ٤٩٣.

٢. معجم ما استعجم، مصدر سابق ٢: ٥٥١.

حيث يوجد بها (دَحَل مي)، ولعلّ في الأمر تصحيف من (رمل الدّحِي)،[1] موضع يقع بالقرب من (الوشم)، الدبيل سابقاً.[2]

والدَحَل: تعني حفرة تكون في الأرض ضيقة الأعلى، واسعة الأسفل، تتجمّع فيها مياه الأمطار، وماؤها عذب.

قال صاحب معجم اليمامة: «الدّحِي: بفتح الدال المشددة، وكسر الحاء فياء (نفود الدحى) أو رمل الدحى، هو هذا الرمل المنقاد من فوهة (بِرك) غرباً إلى ما يقرب من وادي (العَقيق) (عقيق تَمْرة) أسفل (وادي الدواسر) وكان يسمك قديماً «الدُّبَيل».[3]

* «ثم منه إلى جبل أبي عرفة»: وقد ذُكر هذا الجبل في موضع آخر من كتاب الدمشقي فقال عنه:

«الدرعيّة وتقع على طريق الحاج الأحسائي ووادياها متداخل ومتعرج جداً، وبلاد (العارض) تقع عليه وبالقرب منه جبل أبي عرفة».[4]

ومنه ندرك أنّ جبل أبي عرفة يقع بالقرب من الدرعيّة، إلّا أنَّ المصادر والمعاجم الجغرافية المختصّة بالدرعيّة والعارض لا تذكر هذا الجبل، لذا لا يبعد أنه اسم آخر لأحد الجبال المعروفة في الدرعيّة وبلاد العارض.

ولعلّه يقصد أحد الجبال التالية القريبة من الرياض وما هو إلّا اسم آخر لأحدهم وهي:

جبل طويق، جبل جبلة، جبل قطن، الجبل الأصفر، جبل ثهلان، جبل اذقان، جبل ذريع، جبل كميت، جبل شمالات، جبل التوباد، جبل زعابة، جبل النير، جبل

١. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق، الهامش: ٢٩٨.
٢. كتاب المناسك وأماكن طرق الحاجّ، مصدر سابق: ٦١٩.
٣. معجم اليمامة، مصدر سابق ١: ٤١٦.
٤. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٢٨١.

البيضتين، وهي سلسلة جبال تحيط بالدرعيّة.

ويقصد بالعارض حالياً الرياض، والدرعيّة، وضرما، والعيينة، والجبيلة، وسدوس، والعمارية، ومنفوحة، والمصانع، وعرقة، والحائر.

تأتي أهميتها بالنسبة للحاجّ الأحسائي العابر عليها في طريقة إلى بيت الله الحرام، فهي غنية بالفواكه والخضار مما يجعلها مقصداً للحجّاج، كما يشير إلى وفرة النخيل فيها، مما يجعلها مستراحاً جميلاً ومقصداً للحاجّ يلقي فيها عناء ومشقة الطريق، قبل أن يعاود مسيرته من جديد.

* «ثم إلى مَلْهَم»:

(مَلْهَم) بفتح الميم وسكون اللام وفتح الهاء، تقع شمال مدينة الرياض بمسافة تقدر بحوالي (٥٥كم)، وهي من المناطق التاريخية العريقة التي تقع على طريق الحاجّ، وهي شهيرة بمزارعها وخيراتها، ويعبر عنها الدمشقي بقوله: «... وملهم تبعد من الأحساء بست مراحل، وهذه القرية متنزّهٌ جميل جداً، ينبت فيها قصب السكر والتمر والعنب والخوخ».[1]

فإذا كانت (المرحلة) مسيرة يوم على الإبل، فهذا يعني يستغرق طريق (الأحساء ملهم) ما مقداره ستة أيام سيراً على ظهور الإبل.

وقد جاء في لسان العرب: «مَلْهَم قَرْية بِالْيَمَامَةِ؛ قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: هِيَ لبَني يَشْكُرَ وأَخلاطٍ مِنْ بَكْرِ وَائِلٍ».[2]

جاء في كتاب معجم البلدان: قال أبو منصور: ملهم وقران قريتان من قرى اليمامة معروفتان، وقال السكوني: هما لبني نمير على ليلة من مرة، وقال غيره: ملهم قرية

---

١. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٢٨١.

٢. لسان العرب، ابن منظور ١٢: ٥٦٥.

باليمامة لبني يشكر وأخلاط،[1] وقال بن عبدالحق: «... ملهم بالفتح، ثم السكون، وفتح الهاء. قيل: ملهم وقرّان: قريتان من قرى اليمامة معروفتان. قيل: هي لبني نمير، وقيل: ملهم لبني يشكر وأخلاط من بكر، وبها يوم للعرب».[2] وأرجع الدكتور جواد علي اسم (ملهم) إلى يوم (ملهم) وهي حرب نسبت لهذا المكان بين تميم وحنيفة.[3]

*** «ثم إلى الجفر»:**

يحتمل المحقق لكتاب الدمشقي أنّ مراده (جفر البعر)،[4] وجفر البعر: ماء يأخذ عليه طريق الحاجّ، من حَجْر اليمامة، بقرب راهص، وهي منطقة آبار جاهلية قديمة، تقع جنوباً من ماء (الأروسة)، وهي غنية بالمياه، وهي من مياه أبي بكر بن كلاب بين الحمى وبين مهب الجنوب على مسيرة يوم،[5] وقد ذهب لذلك أيضاً صاحب (مرصد الاطلاع).[6]

ومما يؤكّد كلام الدمشقي من أنَّ منطقة (جفر البعر) تقع على طريق الحاجّ الأحسائي، وتُعدّ معبراً ومستراحاً للحجّاج حيث يستقون منها الماء ويروون إبلهم، ما ذكره الأصفهاني قائلاً: «ثم الجفر؛ جفر البعر، يأخذ عليه طريق الحاجّ من طريق ضجر».[7]

---

١. معجم البلدان، مصدر سابق ٥: ١٩٥.

٢. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، مصدر سابق ٣: ١٣١٠.

٣. علي، الدكتور جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، ١٣: ٤٠.

٤. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٣٩٩.

٥. المعجم الجغرافي للبلاد العربيه السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٥٣٥.

٦. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، مصدر سابق ١: ٣٣٨.

٧. م ن.

ويحتمل أنّ المراد بـ: (جفر البعر) المكان المعروف اليوم بـ: (دمنان)، فقد ورد في المعجم الجغرافي لعالية نجد: «ويبدو لي أنّ هذا الماء هو الذي ذكره أصحاب المعاجم الجغرافية باسم (جفر البعر)، لأن كلمة دمنان بمعني ذو الدَّمن، والدمن هو البعر».

وقد استند بقوله هذا على قول ياقوت الحموي في تحديد المكان بقوله:

«جفر البعر، عن الأصمعي جفر البعر ماء يأخذ عليه طريق الحاجّ من حجر اليمامة، يقرب راهص. وعن أبي زياد الكلابي جفر البعر من مياه أبي بكر بن كلاب بين الحمى و بين مهب الجنوب على مسيرة يوم، وقال غيره: جفر البعر بين مكة واليمامة على الجادة، وهو ماءٌ لبني ربيعة بن عبد الله بن كلابئج.[1]

*** «ثم إلى الربض»:**

يميل محقق الكتاب إلى وجود اشتباه لدى المؤلف فيقول: «لعلّه بطن العِرْض»، في الطريق من حَجْر إلى مكة، وذكر في كتاب: بلاد العرب للحسن بن عبد الله الأصفهاني:٣٦٢ «فإذا نصلت من العِرْض وصلت موضع يقال له الراحة... ثم تصير إلى ثنية الأحيسي».[2]

والعارض: هو الجبل المُمتد عَرضاً في وسط الجزيرة، ويعرف بهذا الاسم في الوقت الحاضر، وبجبل (طُوَيق) لتطويقه جزءاً من بلاد المنطقة الوسطي في الجزيرة.[3]

وطرف العارض في بلاد بني تميم في موضع يسمى القرنين فثمّ انقطع طرف العارض الذي من قبل مهبّ الشمال ثم يعود العارض حتى ينقطع في رمل الجزء،

---

١. المعجم الجغرافي للبلاد العربيه السعودية عالية نجد، مصدر سابق ٢: ٥٣٤.

٢. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٣٩٩.

٣. العيسى، محمد الفهد، الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م: ١٣.

وبين طرفي العارض مسيرة شهر طولاً ثم انقطع.[1]

والعارض كما يقول الدمشقي في طيات كتابه:

«نجد العارض: هي مناطق واسعة، يقطعها جبل، يسمونه (جبل العارض)، والآن يسمى: (جبل العمارية)، له مدخلان: أحدهما من (العيينة)، والآخر من (الدرعيّة)، ويقولون: إنّ هناك ثلاثة آلاف قرية، وأهلها لا يخضعون لشريف، وبداية هذا الجبل تمتد من مسافة ثلاثة مراحل من (الحجاز)، ويمتد إلى الجهات الشمالية حتى (نجد العارض)».[2]

ثم يقول: «في وسط (العارض)، وعند هذا الجبل وادٍ يسمونه: (وادي بني حنيفة)، وفيه المياه وافرة وكثير الأشجار والنخيل، وهو متنزهات مبهجة، وعلى أطراف الوادي تصطف القرى، وفي أعلاه قصبة الدرعيّة».[3]

*** «ثم إلى الدِرْعِيّة»:**

الدِرْعِيّة: مدينة تقع على ضفتي وادي (العِرْض) الذي يخترق سلسلة جبال (العارض في منطقة يطلق عليها الجغرافيون المتقدمون (العروض).[4]

وبلدة الدرعيّة منسوبةٌ إلى الدروع، والدورع قبيلة استوطنت وادي حنيفة وحكمت حجر والجزعة، ودعا أحد حكامها (ابن درع) ابن عمه مانع المريدي للقدوم من عروض نجد إلى مرابع وادي حنيفة، وسكن القادمون ما بين غصيبة والمليبيد، وبتاريخ قدومهم يؤرّخ لتأسيس الدرعيّة عام ٨٥٠هـ.[5]

---

١. معجم البلدان، مصدر سابق ٤: ٦٦.

٢. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٢٧٩.

٣. م. ن. ٣٨٠.

٤. الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: ١١.

٥. معجم اليمامة، مصدر سابق ١: ٤١٦.

وتقع الدرعية على بعد حوالي (٣٠٠ كم) عن الأحساء، ويحدها شمالاً محافظة حريملاء بمسافة (٧٥كم)، وجنوباً محافظة ضرما بمسافة (٧٠ كم)، وتتوزّع مساكنها على ضفاف وادي حنيفة، وروافده ما بين غصيبة في الشمال والمليبيد في الجنوب، ويلفّها سورها القديم بتحصيناته وأبراجه الطينية.

يبيّن أبو بكر بن بهرام الدمشقي أهمية الدرعيّة و موقعيتها من طريق الحاجّ الأحسائي بقوله: «... والدرعيّة تقع على طريق حجّاج الأحساء، ووادياها متداخل ومتعرج جدّاً وبلاد العارض تقع عليه، وبالقرب منه جبل أبي عرفة».[1]

*** «ثم إلى الحيسية»:**

الحيسية: عبارة عن شعيب وعر نسبياً يبعد عن الرياض (٥٠ كم)، أقرب منطقة إليه (العيينة)، وفيه أشجار طلح كثيرة والمكان قريب من الرياض وجميل وقت الأمطار.

وتحديد موقع هذا الشعيب كما يذهب العيسى في قوله: «إنَّ جبل العارض يخترقه فجاج واسعة، منها ينفذ إلى الأودية التي في جوفه، ومن أشهر تلك الفجاج (الأَحَيْسَى) بفتح الهمزة والحاء وسكون والياء، والسين المفتوحة بعدها ألف مقصورة بصورة (ى)، وفي أعلى هذا الفج عقبة، وتلك تسمى: (ثنية الأَحَيْسَى)، ومنها ينفذ إلى (العِرْض) وادي حنيفة».[2]

والأحيسى يعرف اليوم بـ: (الحَيْسِيّة) وهو ما فوق (العيينة) من وادي حنيفة، من أعلاه، مُهدت وأصبحت تمر منها السيارات، فما سال من هذه الثنية مشرقاً يصبُّ في وادي حنيفة، وما سال منها مغرباً تمده روافد أخرى، ويتكون منه وادٍ يذهب مغرباً حتى يخترق خط الحجاز مما يلي منطقة (سَمْحَان) أعلى (ضَرَمَى) وتتكون منه ومن

١. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٣٨١.

٢. الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: ٢٣.

الأودية الأخرى التي تصب فيه سيولُ رياض ضرمى.[1]

*** «ثم إلى مَراة»:**

تكتب قديماً (مراة)، أما في المصادر الحديثة (مرات): وهي تقع في الجهة الشمالية الغربية لمدينة الرياض، في الجهة الجنوبية لمنطقة الوشم في إقليم اليمامة وعلى ارتفاع ٦٠٠ متر على سطح البحر، وتبعد عن مدينة الرياض (١٣٤كم) تقريباً من (طر ق القدية) وعلى بُعد (١٦٧كم) تقريباً من (طريق ديراب)، كما تبعد عن مدينة شقراء بمسافة تقدر بنحو من ٣٥ كيلاً، وهي على طريق الحجاز القديم.

ذكرها الدمشقي ووصفها بقوله: «تبعد عن (الدرعيّة) بمرحلتين، بها مياه ونخيل».[2]

واعتبرها ابن خميس في قوله عن «مراة»: بلدة أثرية اشتهرت بأنها بلدة امرئ القيس، وهي بلا شك بلدة أمرئ القيس ولكن ليس ابن حجر الكندي الشاعر الجاهلي المعروف، بل أمرئ القيس التميمي، وهي قرية عرف أهلها بالطيب والكرم.[3]

وممن ك يسكنها هشام المرئى، فوقع خلاف بينه وبين ذوالمرة فهجاه:

فَلَـمّا دَخَلْنا جَوْفَ مَرْءَةَ غُلِّقَتْ دَساكِرُ لم تُرفَعْ لَخَيْرٍ ظِلالُها

وَقَدسُمِّيَت بِاسمِ امرِئِ القَيسِ قَريَةٌ كِرامٌ صَوادِيها لِئامٌ رِجالُها.[4]

وتنطق كما يرى الأزهري، مرأة: بالفتح، بلفظ المرأة من النساء: قرية بني امرئ

---

١. معجم اليمامة، مصدر سابق ١: ٦٤.

٢. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الـ بير، مصدر سابق: ٢٨٢.

٣. بن خميس، عبد الله بن محمد، المجاز بين اليمامة والحجاز، منشورات دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م: ٥٠.

٤. معجم ما استعجم، البكري الأندلسي، مصدر سابق ٤: ١٢٠٤.

القيس بن زيد مناة بن تميم باليمامة سميت بشطر اسم امرئ القيس، بينها وبين ذات غسل مرحلة على طريق النباج.[1] وهي تقع بالقرب من (جبل كميت) وهو علامة بلدة (مراة)، يقول عنه المثل الشعبي: (اضمن لي كميتاً أضمن لك مراة)، وهي تقع في الناحية الجنوبية من جبل كميت.[2]

*** «ثم إلى الشَّعْرَاء»:**

الشَّعْرَاء: بلدة تقع في جانب جبل (ثهلان) من الشرق، غرب مدينة الدوادمي، على بُعد ٣٥ كم، وهي معروفة بهذا الاسم قديماً وحديثاً.[3]

وكانت بلاد الشعراء وما حولها مرتعاً طيباً للبوادي، وفير المراعي كثير المياه، فأصبحت بحكم هذا الموقع وتأثيره سوقاً تجارياً للبادية، وتوسّعت تجارتها، وكذلك فإنها تقع في طريق القوافل بين بلاد (العارض) و(الوشم) و(سدير)، وبلاد الحجاز وعليها يمر طريق حاجّ هذه البلاد.[4]

*** «ثم إلى الحنابج»:**

الحنابج: تقع على طريق عفيف البجادية، ويبعد مفرقها عن عفيف (٣٠ أو ٣٥ كم تقريباً)، ومن المفرق إلى نفس الديرة (٢٠ إلى ٢٥كم تقريباً).

يقول المؤرّخ حمد الجاسر: «وهي ماءٌ قديم، أحساء كثيرة في واد داخل جبل النّير، والنّير كما يقول الهجري جبال كثيرة سود قنان وقران وغيرهما، بعضها إلى بعض و سعتها قريب من مسيرة يوم للراكب. ومن النّير تخرج سيول (التسرير) وسيول

---

١. معجم البلدان، مصدر سابق ٥: ٩٦.

٢. المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٤٩.

٣. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٧٦١.

٤. م. ن.: ٧٦٤.

(نَضَـاد) و(ذي غُثَـث) في وادٍ يقال له ذو بحار.[1] ومن أسـماء عيون النّـير ومياهه: الحبنج، والحنبـج، والحنيبـج، ثلاثـة منابـع للماء يقـال لها الحنابـج،[2] وكما يقـول الهمـداني: فإنّ من مياه النّـير الحنابج».[3]

*** «ومنها إلى المرقب»:**

المرقـب: وهـي قريـة باليمامـة، أو (الرقيبة) المذكورة في نزهة المشـتاق، أو هـي (المرقبة) اسـم جبل لهذيل.[4]

***«ثم إلى المنحنى»:**

هو اسـم يطلـق على وادي أشـيقر أحد الأودية التي تسـيل شـمالي منطقة شـقراء، وقد ذكرهـا ناهض ابـن ثومة في شـعره فقال:[5]

فـما العهـد مـن أسـماء إلّا محلـة ... كـما خـطّ في ظهـرِ الأديـم الرواقـشُ

(برمحـين) أو (بالمنحنـى) دبَّ فوقهـا ... سـفاالريح أوجزعٌ من السيل خادشُ

*** «ثم إلى العبلة»:**

يميـل المحقّـق والمعلّـق عـلى كتـاب الدمشـقي إلى أنّ مـراده هـو منطقـة (العبـلاء)،[6]

---

١. الجـاسر، حمـد، ترتيـب: التعليقـات والنـوادر عـن أبي عـلي هـارون بـن زكريـا الهجـري، دراسـة ومختـارات، القسـم الثالـث: المواضـع، الطبعـة الأولى١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م: ١٤٢٨.

٢. معجم البلدان، ياقوت الحموي ٢: ٣٠٩.

٣. صفة جزيرة العرب، مصدر سابق: ٢٦٠.

٤. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٣٩٩.

٥. المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٦٠.

٦. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٣٩٩.

المنطقة المعروفة منذ العصر الجاهلي بالطائف.

والعبلاء: اسم علم لصخرة بيضاء إلى جانب عكاظ،[1] وهي قرية من قرى الطائف.

يقول أبو بكر بن بهرام في كتابه «جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير»: وكذلك قرية تسمى (العبلاء) وفيها الطائف تسـ ـن قبائل بني صخر، وبني سعد، وقبائل هذيل، وكانت قبيلة ثقيف تسكن هذه البلدة».[2]

أما العُبَيلاء: فهي قرية ومزرعة لعدوان في أسفل وادي ليَّة، يشرف عليها من الشرق جبل مروان، مرورة بيضاء، وقريب منها شمالاً شرقياً (العبل) وهو ما كان يعرف بالعبلاء.

وكانت العُبَيلاء مقرّ عثمان المضايفي وزير الشريف غالب أمير مكة وصهره، اتخذها للدعوة ضد غالب، وحشد الجيوش لقتاله موالياً بذلك عدوّه ابن سعود.[3]

فالخلاصة أنَّ العُبَيلاء منطقة أو قرية على مقربةٍ من الطائف، تمتاز بكثرة المزارع والنخيل، ما جعلها مقصداً للأعيان والسائرين على درب الحاجّ، لأجل الاستراحة فيها والتزوّد منها، ولهذا فقد كان حاجّ الأحساء يأخذ مؤونته منها وهو في طريق رحلته إلى الديار المقدسة.

*** «ثم إلى ركبة»:**

وهي بلد متصلة بعـ اظ، وبها عين تسمى عين (خليص)،[4] وهي قريبة من

---

١. المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٢٤٠.

٢. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الـ بير، مصدر سابق: ٢٢٦ـ٢٢٧.

٣. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ٦: ١١٠٩.

٤. المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٢٤٠.

(العبلاء) بالطائف، ويبدو أنها كانت ذات مكانة اقتصادية جيدة، حيث كان يجبى منها الخراج إلى والي اليمامة،[1] في العصور المتقدمة. وركبة: من المناطق السهلية التي تعدّ من معابر الحاجّ، وهم على مشارف منطقة الحجاز حيث الديار المقدسة، قال كثير: [2]

أناديكما حجَّ الحجيجُ وكبّرتْ بفيفا غزال رفقةٌ وأهلّتِ

وما كبرت من فوق (ركبة) رفقةٌ ومن ذي غزال أشعرت واستهلّتِ

وعرّفها عاتق البلادي في معجمه قائلاً: «رُكْبة: بضمّ أولَه وسكون ثانيه وباء موحدة، بلفظ الركبة التي في الرجل من البعير وغيره، وقال ابن بكير: هي بين مكة والطائف، وقال القعنبي: هو وادٍ من أودية الطائف، واعتبرها البعض جبل بالحجاز، ويراها الزمخشري مفازة على بعد يومين من مكة يسكنها اليوم عدوان.

سكنها بني ضمرة، وكانوا يجلسون إليها في الصيف ويغورون إلى تهامة في الشتاء، بذات نكف، بينما يراها البعض بأنها على طريق الناس بين مكة والطائف.[3]

* «ثم إلى ذات عرق»:

ذات عرق ميقات أهل العراق ومن جاء عن طريقهم، ويبعد عن مكة مسافة ٩٢ كم شمالاً، وهو من مواقيت الحج.

وهي مكان بالبادية قرب عقيق الطائف، سمي بذلك لعرق فيه، والعرق هو الجبل، ويقولون إنه منتهى جبال تهامة يفصل بين جبال تهامة ونجد، وهو ميقات أهل العراق ومن وراءهم من أهل المشرق كأهل خراسان وغيرهم. وهي مندثرة اليوم، ويحرم الحجّاج الذين يأتون في السابق على الإبل من «الضريبة» التي يقال لها

---

١. م. ن.: ١٥.

٢. م. ن.: ٢١٣.

٣. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ٤: ٧٠٥.

اليـوم «الخريبات».

وهـي منطقـة تقـع في نهايـة نجـد باتجـاه الحجـاز، قـال ابـن الأعـرابي: «نجـد مـا بين العُذيـب إلى ذات عِـرق»،[1] وبدايـة تهامـة مـن ذات عـرق إلى مرحلتـين مـن وراء مكـة.[2]

وقـد ذكرها الدمشـقي في كتابـه فقال: «ذات عـرق؛ قرية بها عدّة آبـار، وماؤها قريب، تبعـد عـن (الشـعراء) بأربعة منـازل، وعن (مكـة) بمنزلين، وأرضهـا رملية، سـهلة، إذا حُفر فيهـا يخرج منهـا الماء».[3]

ويعتبرهـا أبـو بكر بـن بهرام الدمشـقي أنها آخـر محطة يقـف عندها الحاجّ الأحسـائي قبـل الدخـول إلى مكـة المكرمة، فـ: «هي ميقـات حجاج نجد»،[4] ومن سـلك طريقهم إلى البلد الحرام.

وقـد جعلهـا رسـول اللهﷺ ميقـات أهـل المـشرق، فمـن جابـر الأنصـاري عـن رسـول اللهﷺ أنـه قـال: «وُقِّـتَ لأهـل المشـرق ذات عـرق»،[5] وفي حديـث آخـر بلفظٍ مغايـر عـن جابـر أنّ النبـيﷺ قـال: «وُقِّـتَ لأهـل العـراق ذات عـرق»،[6] كـما يـروى الحديـث ذاتـه عـن ابـن عبـاس عـن رسـول اللهﷺ.

ومنهـا يدخـل الحاجّ إلى مكـة المكرمة مُحرمـاً وقد بلغ مـراده ليبدأ بعدها بأداء مناسـك الحجّ.

ونلاحـظ عـلى ما ذكره الدمشـقي الخطـأ في ذكر الأسـماء، إضافةً إلى إطلاق مسـميات

---

١. المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٢١٦.

٢. م. ن.

٣. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٢٣١.

٤. م. ن.: ٤٠٣.

٥. كتاب المناسك وأماكن طرق الحاج، مصدر سابق: ٣٤٧.

٦. م. ن.: ٣٤٨.

لم تكـن مألوفـة تاريخياً على تلـك الأماكن.

وقـد حاولنـا خـلال مـا تـمَّ بسـطه وعرضـه آنفـاً مـن معـالم جغرافيـة لطريـق الحاجّ الأحسـائي أن نعرّفـه غالبـاً مـن وجهـة نظـر الدمشـقي، والـذي يظهـر أنه ممن سـار على الطريـق ووصفـه وفقـاً لمشـاهداته العينيّة، وذلـك في القرن الحـادي عشر الهجـري، وهذا يعطـي صورة مختلفة عما كتبـه الجغرافيان قبلـه كياقوت الحموي والهمـداني لتقدّمهم عليه بقـرونٍ عديـدة، ممـا يحتمـل على إثر ذلـك تغيّر المعـالم ومشـخّصاتها نتيجة الفـارق الزمني الكبير.

هـذا ناهيـك عـن النظـرة الشـخصية للمـؤرّخ الدمشـقي، والتـي تعـدّ عنصـراً مهمّا للتعـرف على بعـض المعالم من خـلال تجربته الخاصّة في السـفر والترحال بعيـداً عن النقل والأقـوال المتضاربـة كما لاحظنـا في التعريفـات المختلفة...

وللبحث صلة تأتي في العدد القادم إن شاء الله تعالى